كتاب النفس

صنفه

أبو بكر محمد بن باجة الأندلسي

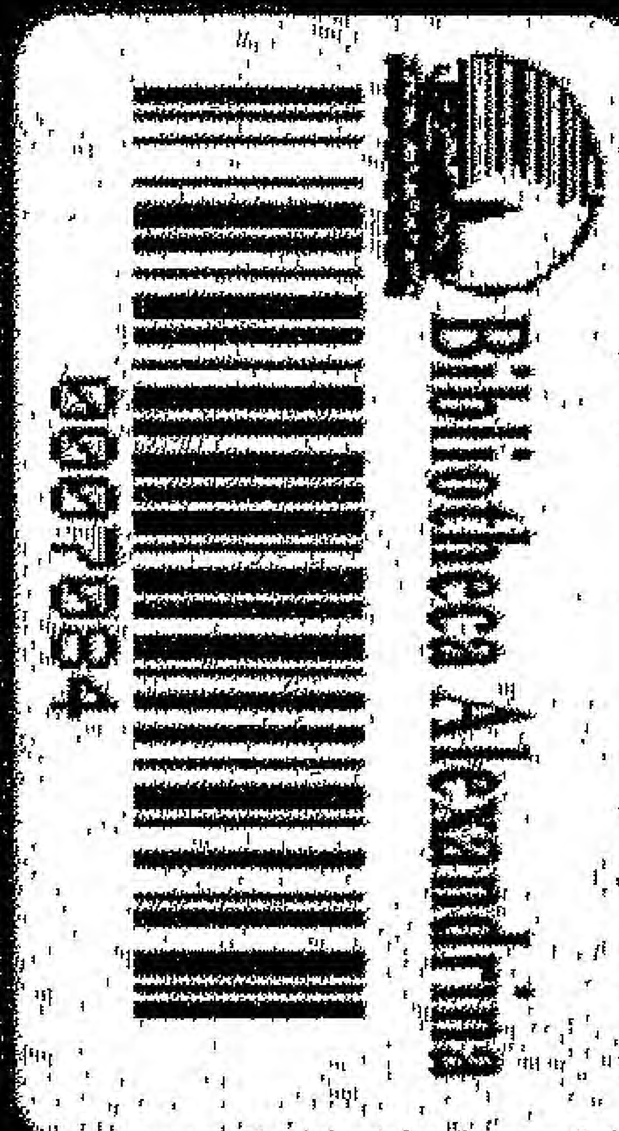
المتوفى سنة ٥٣٣هـ = ١١٣٨م

حققه

الدكتور محمد صغير حسن المعصومي

دار صادر

بيروت



كتابُ النفسِ

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

كتاب النفس

صنفه

أبو بكر محمد بن باجة الأندلسي

المتوفى سنة ٥٣٣ هـ = ١١٣٨ م

حققه

الدكتور محمد صغير حسن المعصومي



دار صادر

بيروت

الطبعة الأولى : دمشق ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م
الطبعة الثانية : بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

طبع بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق
رقم ٥٠٤/ص بتاريخ ١٩٩١/١٢/٨



ص.ب. ١٠ بيروت ، لبنان / فاكس : ٠٤-٩٢٠٩٧٨
هاتف : ٠٤-٩٢٨٢٧١ ، ٠١-٤٤٨٨٢٧ ، ٠١-٤١٣٢٥٦

المقدمة

الموضوع :

أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجّة [1] (المتوفى سنة ٥٣٣ هـ . ش/ ١١٣٨ م) هو رئيس فلاسفة العرب في المغرب ، وإنه وإن اشتهر في عهده بأنه أكبر الشرّاح لفلسفة أرسطاطاليس بعد ابن سينا [2] ، وأنه سابقٌ لابن رشد المعروف عند الأوربيين « بالشارح الفاضل » ، فذوو العلم لم يعرفوا فضله حق المعرفة ، ولم يُنشر من مؤلفاته إلى الآن سوى كتابه (تدبير المتوحّد) ، وبضع رسائل مختصرة . أما كتاب (تدبير المتوحّد) فقد عُرف منذ القرون الوسطى ، وكان نقل إلى العبرية في القرن الثاني عشر ، وله ترجمة بالألمانية نُشرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وكانت كتب ابن باجّة محفوظة في مخطوطين عتيقين في خزانتي اكسفورد وبرلين . فأخذت في مطالعة (كتاب النفس) في مخطوط بودليانا (اكسفورد) على

---

(١) لترجمة ابن باجّة راجع بروكلمن (Brockelmann) : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٠١ ، ضميمه ج ١ ص ٨٣٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ سارطن (Sarton) : Introduction to the Hystory of Science القسم ١ ج ١ ص ١٨٣ ، والمقري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

(٢) انظر مقدمة المخطوطة (بودليانا ، نمرة ٣٠٦ بوكك ، Pock) لابن الإمام ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ ؛ ابن طفيل : حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه (Gauthier) ص ١٢٠ .

أمل أن أقابله بمخطوط برلين ، ولكنني علمت من مراسلتي لمدير خزانة برلين ان المخطوط مفقود . وبعد هذا ظهر لي بوساطة الأستاذ پال كالى (Prof. P. E. Kahle) ان المخطوط كان قد نقل من خزانة برلين الى الشرق في زمان الحرب العالمية الثانية فغاب أثره .

والآن ليس لي معذرة في تحقيق هذا الكتاب معتمداً على مخطوط واحد إلا أن أقول إنه وإن تعسّر تحقيق كتاب دقيق ، وخصوصاً تحقيق كتاب في علم ذهني كالفلسفة بالاعتماد على نسخة واحدة ، لكنه من المعلوم أنه لا يوجد عندنا إلا مخطوط واحد ، فإن أريد تحقيق هذا الكتاب فلا بدّ من الاعتماد على هذا المخطوط وحده ، وهو مخطوط بودليانا ليس غير .

وحينما عزمت على التحقيق لم أجد بداً من مطالعة المخطوط المذكور من أوله إلى آخره ، وهو مشتمل على ٢٣٢ ورقة ، فقابلت أكثر العبارات من (كتاب النفس) بالعبارات المترادفة التي وجدتها في مواضع أخرى ، وبذلت جهدي في تصحيح الكتاب على قدر الطاقة .

وقد أتمّ ابن باجة كتابه هذا ، ولكنه نقص مقدار يسير من آخر الكتاب من عند تلميذه العزيز الوزير أبي بكر الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بابن الإمام[1] . وإنما وصلت كُتُب ابن باجة إلينا عن ابن الإمام هذا . فإنه جمع جميع ما كتبه ابن باجة في مجلد ضخم ، فنقل منه تلاميذه . وقد ذكر ابن الإمام هذا النقص متأسفاً عليه[2] ، وإلى هذا أشار ابن طفيل ، معاصر

---

(١) ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق مولر (Müller) ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) راجع مخطوط بودليانا (Poc. 206. Fol. 4 A) ورقة ٤ ألف « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير اله سقط منه بعد وقوعه اليه » ، أيضاً ورقة ١٢٠ ب : « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير اله سقط منه بعد وقوعه اليه » .

ابن باجّة ومصنف قصة حيّ بن يقظان ، في مقدمة قصته المشهورة حيث قال : (١)
«وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هي غير كاملة ومخرومة من أواخرها ككتابه في النفس وتدبير المتوحد ، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة» .

كتاب النفس ـ تأليف مستقل :

يذكر ابن باجة كتاب النفس كما يذكر كتاب تدبير المتوحد ، بألفاظ تدل على أنه تصنيف على الأصل ، وكتاب بنفسه . فإنه يذكر تأليفاته الأخرى بعبارة دالة على أنها شروح لكتب أرسطاطاليس (٢) . فهذا التأليف تأليف مستقل ليس بشرح ولا تلخيص لكتاب آخر .

ولما وافق هذا التأليف كتابَ النفس لأرسطاطاليس ، لا سيما الباب الثاني والباب الثالث منه ، في ترتيب المضامين وتوضيح أكثر المسائل من علم النفس ، لا يكاد يستبعد أن يقال انه تأليفٌ لخصه ابن باجة من الكتاب المشار اليه آنفاً ، وأضاف اليه مسائل أخرى .

أسلوب ابن باجّة في كتابه :

عُرف ابن باجة في عصره بفصاحته في شعره وكماله في الغناء والموسيقى (٣) ، غير ان أسلوبه في كتبه الفلسفية دقيق ، وعباراته عويصة غامضة لا تخلو من الإغلاق والصعوبة . ولكن تلميذه ونديمه ابن الإمام يرى رأياً مختلفاً ، فقد نطق بفضله وبراعته في الإفهام والتفهيم ، وبحسن فهمه لكتب أرسطاطاليس (٤) .
وقد يشهد كتابه في النفس على أنه سهل ممتنع في كثير من مواضع هذا الكتاب .

(١) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٢ – ١٣ .
(٢) راجع المخطوط نفسه ، ورقة ١١٣ ب : « كتبناه في كتاب النفس » ، ورقة ٣٢٠ ألف : « وقد لخصنا في كتابنا في النفس » ، ورقة ٨٩ ألف : « كتبناها في شرح الرابعة من الآثار » .
(٣) راجع ابن خلدون : تاريخه ، ج ١ ، نشر بولاق ، ص ٥١٩ ؛ المقري : نفح الطيب ج ٤ ، ص ٢٠١ – ٢٠٦ ، سارطن : مقدمة ، ج ١ ص ١٨٣ .
(٤) انظر الصفحة التالية .

وكما أن الفارابي ، وعلى كتبه كثيراً ما يعتمد ابن باجة ، يمدّ عبارته كلما يتشوق الى توضيح مقاله ، ابن باجة ايضاً يخلّ بالمعاني حينما يميل الى تفصيل قوله بأسهل عبارات . وله اعتراف بهذا التقصير ، وكثيراً ما تأسف لعجزه عن تبديل العبارات لضيق الوقت [1] . فأحياناً نجد عباراته لا توافق قواعد علم النحو ، خصوصاً الضمائر التي تختلف عن المراجع في التذكير والتأنيث ، والأمثال كثيرة لا تكاد تؤول جميعها الى الكاتب وحده . وكاتب المخطوطة نفسه عالم بالأدب ، وكان وُلّيَ القضاء وطارت شهرته ، في ذلك العصر ، في الأدب والعلوم الفلسفية ، وهو من تلاميذ ابن الإمام ، فلا يمكن أن يقال انه أخطأ في الكتابة في سائر مواضع الأغلاط [2] . ولقد أصاب ابن طفيل ، معاصر ابن باجة الأصغر ، حيث يقول [3] : « وقد صرّح هو نفسه بذلك ، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الاتصال ليس يعطيه ذلك القول اعطاءً بيّناً إلا بعد عسر واستكراه شديد ، وان ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل ولو اتسع له الوقت مال لتبديلها » .

أثر ابن باجة على معاصريه :

على رغم هذا لقد أثر تفكير ابن باجة على معاصريه تأثيراً عميقاً ، وخصوصاً على ابن رشد وابن طفيل . وظاهر ان ابن رشد كتب جوامعه أي جوامع

(١) راجع الأندلس ، ١٩٤٢م ص ٢٢ و ٢٣ ؛ تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، تحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، ص ١١٧ : اثبت هذا القول في زمان منغص بالداخل اليّ والخارج عني . فلما قرأته رأيت فيه تقصيراً عن افهام كنت اردت افهامه ، فان المعنى المقصود برهان ليس يعطيه هذا القول اعطاءً بينا الا بعد عسر واستكراه شديد .... وكذلك وجدت ترتيب العبارة في مواضع على غير الطريق الأكمل ، ولم يتسع الوقت لتبديلها » .

(٢) المخطوط نفسه ، ورقة ١٢٠ ب : قال القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر وهو المعروف بالأديب .

(٣) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٣ .

كتب أرسطاطاليس التي قد انطبعت بأجمعها ، سوى (كتاب الحس والمحسوس) ، بحيدر اباد (هند) تحت عنوان « رسائل ابن رشد » بعد مجموعة ابن باجة التي جمعها ابن الإمام تحت عنوان « مجموعة من كلام الشيخ الإمام الوزير أبي بكر محمد بن باجة الاندلسي » محتوية على شروحه على كتب أرسطاطاليس في الطبيعيات ، والآثار العلوية ، والحيوان ، وعلى رسائل أخرى ، ولذلك نجد مصنفات ابن رشد وابن طفيل متأثرة بمصنفات ابن باجة .

ولقد أقر ابن رشد نفسه في كتابه - تلخيص كتاب النفس [1] - بأوضح عباراته - أن كل ما بينه في بحث العقل هو رأي ابن باجة . ولكنه أحياناً ينتقد على ابن باجة في أفكاره ، كما ينتقد على الفارابي وابن سينا في بعض من أفكارهما [2] . والفوائد الموضحة التي أضفتها إلى نص الكتاب بأسفل الصفحات قد تفصح عن قدر ما اقتبسه ابن رشد .

قيمة كتاب النفس :

كتاب النفس لابن باجة ، له قيمة في تاريخ علم النفس عند المسلمين ، فإنه يطلعنا على بعض مآخذ كتب ابن رشد ومراجعها ، وأيضاً يملأ الفراغ بين الفارابي وابن رشد .

لقد ترجم اسحاق بن حنين كتاب النفس لأرسطاطاليس في القرن التاسع الميلادي [3] بالعربية ، وإنهم عثروا في هذا العصر على نسخة من هذه الترجمة باستانبول ، ولم تنشر بعد . وأعد الاسكندر الافروديسي تلخيصاً لهذا الكتاب (الموجود باليونانية والعبرية) ، وكتب الفارابي شرحاً عليه [4] ولم يعثر عليه

---

(١) تحقيق الدكتور الاهواني ، ص ٩٠ ، وهذه العبارة غير موجودة في نسخة حيدراباد المطبوعة .

(٢) الظر رسائل ابن رشد ، حيدراباد ، ١٩٤٦ ، ص ١١٠ .

(٣) الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل (Flügel) ، لپسك ج ١ ص ٢٥١ ، تاريخ الحكماء للقفطي ، نشر ليپرت (Lippert) ص ٤١ .

(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ .

أحد إلى يومنا هذا . وابن النديم يذكر لنا أن شروحاً لثامسطيوس ، وسيمفليقيوس ماعدا الشروح السالف ذكرها كانت موجودة بالعربية [1] . والذي يتراءى أن ابن البطريق أول من كتب « جوامع » كتاب النفس ، وهناك رسائل أخرى عديدة لها عنوان كتاب النفس ذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت موجودة باللغة العربية ، وهي تحت ثاوفرسطس (ص ٢٥٢) ، الاسكندر الافروديسي (ص ٢٥٣) [2] ، ثامسطيوس (ص ٢٨٣) ، فلرطرخس (ص ٢٥٤) [3] ، وارسطن (ص ٢٥٥) ، ولكن لم نطّلع على مخطوطة من هذه الرسائل إلى الآن . وقد نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المصري مع تلخيص كتاب النفس لابن رشد نصاً عربياً تحت عنوان « كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين » ، والظاهر انه ليس بترجمة ولكنه شرح على كتاب النفس ، كُتب ، كما أظنه ، قبل اسحاق بن حنين ، وله ترجمة فارسية قد عثرتُ على عدة نسخ منها في مكتبة بودليانا [4] ، والمتحف البريطاني ، ونشرتُ مقالة ، فيها قابلت هذه المخطوطة الفارسية بالنص العربي في مجلة المجمع الملكي الآسيوي البريطاني بلندن [5] .

إلى هذا اليوم لم ينشر شرح على كتاب النفس لارسطاطاليس سوى النص العربي الذي أشرت اليه آنفاً ، فكتاب النفس لابن باجّة له مزية أخرى من ناحية التقدم ، فإنه أوّل نصٍّ يلخص لنا سائر ما يوجد في الأبواب الثلاثة لكتاب النفس لأرسطاطاليس .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١ .

(٢) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٥٤ .

(٣) أيضاً ، ص ٢٥٧ .

(٤) مخطوط بودليانا (Mss. Ous. 95) ورقة ٤١ ب – ٥٢ ب ، وفي آخر المخطوطة : « تمام شد مقالهٔ سيوم وبتمامىٔ آن كتاب نفس منسوب بارسطاطاليس دروقت غروب خورشيد وروزيكشنبه . . . . ورقم بتاريخ شهر جمادي الثاني سنة ١٠٣٩ – ١٦٦٩ ، والحمد لله رب العالمين . . . . . »

(٥) The Journal of the Royal Asiatic Society, London, April, 1936

والعجب أن ابن باجة يذكر في كتابه الفارابي والاسكندر الافروديسي ، وجالينوس وثامسطيوس ، كما يذكر أرسطاطاليس وأفلاطون ، ولكنه لم يذكر ابن سينا الذي هو متقدم عليه ، مع أن ما سرده ابن الامام ، تلميذه الرشيد ، تقدمة للمجموعة ، يشهد بأن ابن سينا كان معروفاً بين العلماء بأرض الأندلس وكانوا معترفين بفضله ، حيث يقول [1] (ورقة ٤ ألف) :

« ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فإنه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر في المشرق في فهم تلك العلوم ، ودوّنا فيها ، بان لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أئمة دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن يقين يمتاز به أقاويلهم ويتواردون فيها مع السلف الكريم » .

النفس وقواها :

يعرّف ابن باجة « النفس » في كتابه ، كما عرّفها أرسطاطاليس ، بأنها استكمال أوّلي لجسم طبيعي آليّ ، ويفصّل القوى الثلاث للنفس ــ الغاذية والحسّاسة والمتخيلة ــ ، ويقول عن الناطقة بأن النفس يقال عليها بنوع من الاشتراك . والنفس عنده من المتفقة أقوالها ، فلهذا لا يمكن تعريفها من جهة واحدة . وتعرف بنحو من الاشتراك فقط . وانما يتعلق فحصه عن النفس ، بالجملة ، بنفس الحيوان .

القوة الغاذية :

القوة الغاذية عُرفت بأنها استكمال أوّلي للجسم الآليّ المغتذي ، وتساعدها قوتان ــ النامية والمولّدة .

(١) وهذه العبارة نقلها أيضاً ابن ابي اصيبعة في طبقاته : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ .

فالغاذية تعد من الغذاء في المغتذي ما يستعمل لحفظ البدن ونموّه وآخر التناسل . وكما أن الغاذية تصنع الغذاء جزءاً لأعضاء المغتذي ، تصنع المولّدة في البدن جسماً من نوعه ، وتولّده .

ولمّا كان محرك المولّدة عقلاً بالفعل لا يختلط الأمر عليها ولا تولّد إلا من نوع بدنها . وهذا التناسل قد يكون عن «محركاتٍ أُخَرَ مثل العفونة في الحيوان الذي يتكون عنها» .

القوة الحساسة :

وعرفت القوة الحساسة بأنها استكمال أوّلي لجسم آليّ حاسّ ، وهي تدرك الصور المحسوسة ، ولها حواس ، ولكل حاسة آلة ، فلهذا يقول ابن باجّة انها النفس[1] . وهذه الحواس هي البصر والسمع والشم والطعم واللمس والحس المشترك . والقوّة المحرّكة التي أشار اليها[2] ولكنه لم يفصل عنها ، هي ، في ظني ، القوة النزوعية التي قد فصلها ابن باجّة في رسالة مستقلة ، وقد بيّن فيها أن النفس النزوعية جنس لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، والنزوعية بالنفس المتوسطة ، والنزوعية التي تشعر بالنطق . والأوليان مشتركتان عنده في الحيوان وبها تكون التربية للأولاد والتحرّك الى المكان والأشخاص والالف والمشق ، والغذاء والديار . والثالثة يختص بها الانسان فقط[3] .

---

(١) راجع النص : والخمس التي هي الحواس بيّن من امرها انها أنفس .

(٢) ايضاً : والسابعة هي القوة المحركة .

(٣) راجع مخطوط بودليانا ، ورقة ١٣٩ ب : والنفس النزوعية إما ان تكون جنساً لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، وبها يكون التربية للأولاد والتحرك الى اشخاص المكان والالف والمشق وما يجري مجراه ، والنفس النزوعية بالنفس المتوسطة وبها تشاق الغذاء والديار ، وجميع الصنائع داخلة في هـذه ، وهاتان مشتركتان للحيوان ، ومنها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعليم ، وهذه يختص بها الإنسان فقط .

وعلى غير منهج الفارابي ، إن صحت نسبة رسالة الفصوص له [١] ، وعلى غير منوال ابن سينا [٢] ، ابن باجّة لا يصف الحواس قط بأنهـا « ظاهرة » أو « باطنة » ، ولا يذكر « المصوّرة » وإن نسب « الحفظ » للحس المشترك [٣] .

وأما كيف يقع الإدراك وكيف يكون الحس؟ فانه يبين ، تباعا لأرسطاطاليس ، أن الإدراك هو قبول صور المحسوسات . ولما كانت الصورة مخازة بالمادة أوضح أن المراد من الصورة ههنا هي نسبة تخصها ، وهي هيولى بالتقديم وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتأخير . ولما كانت المعاني المدركة لها علاقة بالمادة فنحن نقدر على إدراك الخواص الهيولانية .

القوة المتخيلة :

قوة التخيل هي استكمال أولي لجسم متخيل آلي ، والمتخيلة تتقدم عليها الحاسة فإنها تخدمها بتقديم الموادّ إليها ، ولهذا يوصف التخيل والحس بأنهما نوعان من إدراك النفس ، والفرق بينهما ظاهر فالحسّ خاص والتخيل عام .

والقوة المتخيلة تنتهي الى القوة الناطقة التي بها يفصح الإنسان عما في ضميره ، وبها يكون التعلم والتعليم .

والحاصل أن النفس ، كما بيّنها ابن باجّة نفسه [٤] ، هي القوة الفاعلة ، لما

(١) رسالة الفصوص ، لشرها ديتريصي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophical Abhandlungen, 73, 74 . وقد اثبت خليل الجرّ (Khalil Geor) في مقالته في Revue des Etudes Islamique, 1941 — 46, 31 — 39 أن نسبة الرسالة الى الفارابي خطأ ، وانما هي من مصنفات ابن سينا .

(٢) راجع الشفاء مخطوط بودليانا ، الأوراق ١٦١ ألف ، ١٨٢ ألف ، ١٨٣ ألف ، وفضل الرحمن : Avicenna's Psychology

(٣) النص

(٤) مخطوط بودليانا ، ورقة ٢٢٠ ب : فان النفس الفاعلة ، وذلك لأن النفس يقال على نحوين كما تلخص فيما كتبناه في النفس ، فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفعلة ، وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة .

طبيع مزدوج ، فحينما يقال ان النفس استكمال أولي فهي قوة منفعلة . وحينما يقال انها استكمال أخير فهي قوة فاعلة . وقد أصبحت اثنينية « المادة والصورة » و « المحرك والمتحرك » و « الفعل والانفعال » ، و « الأول والأخير » — وهي مزية معروفة لفلسفة أرسطاطاليس — أصلاً طبيعياً لسائر الحجج التي سردها ابن باجّة في هذا الكتاب .

ويقول ابن باجّة في رسالة أخرى في النفس الناطقة انها « موهبة إلهية » بها تبصر النفس الناطقة « الموهبة » نفسها كما انها « ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس »[1] ، وقال في موضع آخر : « إن هذه الموهبة هي الاتصال بالعقل الفعال »[2] .

وله سوى هذه الرسالة رسائل أخرى في تفصيل نواح شتى من النفس خصوصاً « النفس النزوعية » و « الوقوف على العقل الفعال » ، و « ماهية الشوق الطبيعي » وغيرها ، وفيها بيّن أفكاره في العقل ، والنبوة والوحي ومسائل أخرى .

فأخذ ابن باجّة يوضح علم النفس على منهج أرسطاطاليس وانتهى أخيراً إلى مسئلة النبوة كما وصل اليها ابن سينا ، وكما فصلها الإمام الغزالي في رسالته

---

(١) ايضا ، ورقة ١٣٦ ب : ورأى بقوته الناطقة حين فاضت عليها الموهبة ، تلك الموهبة كما ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس ، والسبب القريب في إدراك المعقولات وحصول القوة الناطقة بالفعل هو الموهبة التي هي مثل ضوء الشمس ويبصر بها ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون من يؤمن بالله وملائكته وكتبه الخ . ورقة ١٣٧ ألف : والتفاضل في موهبة الله التي بها تبصر القوة الناطقة متقارب بحسب ما يعطيه الله ايضاً في اول خلقه الانسان من الاستعداد لقبول الموهبة التي بها تبصر القوة الناطقة . . . . .

(٢) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون . . . . . . كتبه ورسله والدار الآخرة ايماناً يقيناً فيكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا فكرة إلا بتلك الموهبة ، وتلك الموهبة هي اتصاله بالعقل الفعال .

(مشكوٰة الأنوار) ، وقد اعترف ابن باجة بفضل الإمام الغزالي وذكره بالاحترام والإكرام [١] .

والتزمتُ في الشرح بجمع المواد التي يتيسر بها فهم النص العربي . وبعد أن ذكرت الشواهد والمترادفات من كلام ابن باجة أشرت إلى مآخذ الأفكار في فلسفة ارسطاليس ، وفي كتب الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين والمسلمين .

ولعدم مهارتي بالإغريقية اعتمدت على الترجمة الانكليزية للكتب اليونانية وخصوصاً لكتب أرسطاليس التي نُشرت باكسفورد .

هذا ونشكر لحضرات الأستاذ ح . ا . ر . جب (H. A. R. Gibb) ، والأستاذ ريچرد والسر (Richard Walzer) ، والأستاذ واندن برك (Van Den Bergh) على ما بذلوه معي من عناء في تصحيح الكتاب وما علقت عليه من التعاليق ، وحضرات أمناء خزانة بودليانا باكسفورد ، فلهؤلاء جميعاً عاطر الثناء .

محمد صغير حسن المعصومي

جامعة داكة ، باكستان الشرقية ، ايلول سنة ١٩٥٧

---

(١) ايضاً ، ورقة ١٢٣ ب : والطريق الصوفية المستمدين القبول ، وطريق الغزالي من الطرق الموصلة والطرق المأخوذة اولاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم .
ورقة ١٢٤ ب : والنظر مع نظرك في مقالات الخير في عيون المسائل ، ثم في قول ابي حامد تجد الكل من نمط واحد والكل في التأويل مع الكتاب العزيز متفق . . . .
ورقة ١٢٥ ألف : انظر إلى قول الغزالي في آخر كتاب المشكوٰة فانه يعتقد ان الأول مطّر جميع الفاعلين ان يفعلوا ، والمنفعلين ان ينفعلوا ، وانظر إلى قول ابي نصر في عيون المسائل يقول : ان نسبة جميع الأشياء إليه من حيث الله مبدعها (ورقة ١٢٥ ب) او هو الذي ليس بينه وبين مبدعها واسطة . . . . .

المخطوطة

كتاب النفس لابن باجة جزء من مخطوطة موجودة بمكتبة بودليانا تحت رقم پوكك ٢٠٦ (Pocock 206) ، وعنوانها «مجموعة من كلام الشيخ الامام العالم الكامل الفاضل الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي رضي الله عنه» ، عدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ (اثنان وعشرون ومائتان) ، كل صفحة «٣ ٣/٤" × ٧ ١/٢"» ، وتحتوي على ٢٧ وأحياناً على ٣٢ (اثنين وثلاثين) سطراً ، وكاتب النسخة رجل عالم وهو الأديب القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النفر الذي انتسخها بقوص في شهر الربيع الآخر سنة ٥٤٧ هـ . ش . (١١٥٢ م) ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الامام الذي قرأ نسخته على المصنف ، وقد أتم القراءة في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٣٠ هـ . ش . (١١٣٥ م)[1] ـ أي قبل موت ابن باجة نفسه بثلاث سنين . فهذا التاريخ يحكم قطعاً بأنه رحمه الله تعالى مات سنة ٥٣٣ هـ . ش / ١١٣٨ م ، أي بعد

---

(١) وهو ظاهر من عبارة المخطوطة ١٢٠ ألف :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت مامثاله : قابلت بجميع مافي هذا الجزء جميع الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر العدل التقي عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير ابي الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام السرقسطي وهو ينظر في اصله المخبوء به من يد فريد دهره وبشير عصره ونادرة الفلك في زمانه ابي بكر محمد بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجة قراءة بقراءة على المصنف باشبيلية والوزير المذكور ادام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستأد لخراجها وما اضيف من العمل إليها ، وكان فراغ الوزير من قراءة هذا الجزء عليه في تاريخ اخرة اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلثين وخمس مائة . وكتب الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن النفر بقوص في شهر ربيع الآخر سبع واربعين وخمس مائة ، نسأل الله سبحانه علماً نافعاً في الدنيا والآخرة إنه على مايشاء قدير . »

٥٣٠ هـ . ش . / ١١٣٥ م ، لا في سنة ٥٢٥ هـ ش / ١١٣٠ م كما زعمه بعضهم [١] .

وفي صفحة ١١٨ ألف عبارة أخرى توثق التاريخ الأول وتدل على أن الكاتب الحسن بن النضر نقل هذه النسخة الى الورق المذكور في آخر الربيع الأول سنة ٥٤٧ هـ . ش / ١١٥٢ م وقابل النسخة بالأصل المكتوب بيد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : قابلت جميع ما في هذا الجزء من الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الأوحد الكامل الفاضل الزاهد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام وكمل بقوص في سلخ شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة ، وكتب الحسن بن النضر في التاريخ المذكور (المخطوط : المذكور) » .

ونسخة برلين كما يظهر من فهرس اهلورت (Ahlwardt) ج ٤ رقم ٥٠٦٠ ، تاريخ كتابتها الجمادى (الأولى) سنة ٦٧٠ هـ . ش . / ١٢٧١ م . هذه النسخة تمتاز عن نسخة بودليانا في أنها احتوت على مصنفات ابن باجّة في الطب والأدوية والنجوم وغيرها أيضاً ، وعلى مقالات الاسكندر الافروديسي في البصر واللون التي خليت منها نسخة بودليانا . وفي تحقيق أهلورت (Ahlwardt) هذه النسخة مبنية على نسخة ابن الإمام ، ولكن المحتويات ترشد الى أن سائر ما وجد في نسخة بودليانا كان موجوداً في نسخة برلين سوى كتاب تدبير المتوحد والمقالات في المنطق . وإن نسخة برلين كانت أوفى وأكمل فهي مشتملة ، كما ذكرت آنفاً ، على مقالات شتى في فنون أخرى ، بخط مغربي حسن .

و (كتاب النفس) في نسخة بودليانا جاء في ست وعشرين ورقة ونصف صفحة من ورقة . (من ورقة ١٣٨ ب الى ورقة ١٦٥ ألف) ، والنسخة قد أصيبت

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، نشر Wüstenfeld ج ١ – ٧ ، نمره ٦٨١ (1835) .

في مواضع كثيرة بالرطوبة الخارجية فتلاصقت الأوراق بعضها ببعض . وإنها وإن كانت في خط حسن نسخي إلا أنها كانت أحياناً غير منقوطة وغير معربة كما هو عام في المخطوطات الفلسفية . والأسلوب في الكتابة غريب فالألف والكاف واللام مكتوبة في شكل واحد لا يتيسر للقارئ أحياناً تمييزها . هذا مع أن النسخة مملوءة بالأغلاط النحوية التي صيّرت النسخة عويصة جداً ، لا يسهل فهمها للأذهان [١] .

وبعد أن قابلت كتاب النبات بتمامه ، ورسالة الوداع ، ورسالة اتصال العقل وهما ناقصتان في نسخة بودليانا ، (وقد نشر الرسائل الثلاث المرحوم الأستاذ آسين بلاسيوز (Prof. Asin Palacios) من النسختين [٢] ،) بنسخة بودليانا ظهر لي أن نسخة برلين كانت مفيدة جداً لمن أراد التحقيق في أجزاء من المجموعة ، فالنسختان قد تختلفان في النص ، فان فقد لفظ في نسخة أحياناً ، زيد لفظ في الأخرى [٣] .

على أني قد اختلفت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة من قراءة الأستاذ المذكور [٤] ،

---

(١) مقالة دنلوب (Mr. Dunlop) المنشورة في J. R. A. S. 1945. p. 62 .

(٢) انظر مجلة الاندلس ، ميدرد Al-Andalus 1940, 42, 43 .

(٣) مثلاً « النزوعية » لا توجد في نسخة برلين ، ويوجد في حاشية نسخة اكسفورد ؛ انظر الأندلس ١٩٤٢ ، ص ١٢ (رسالة الاتصال) . وإن اردت الأمثال فانظر الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٨ (كتاب النبات) وقابل بالمخطوطة .

(٤) مثلاً قرأ الأستاذ آسين « القوة المتمنية » في موضع « القوة المنمية » ، انظر الأندلس ج ٧ ، ١٩٤٢ ص ١٢ ؛ ايضاً ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ : « فان كان النبات ذكر واثق فانما يجب ان يكون ذلك في المتميزة فقط فأما ما ليس بتميز ... » وقراءتي « المتمرة » و « بتمر » في الموضعين ، في نسخة اكسفورد : « المتميزة » و « بتمر » .

وقد ترك أيضاً بعضاً من الألفاظ سهواً [١] . وأما (تدبير المتوحّد) الذي نشره الأستاذ المذكور فإنه أحسن تحقيقاً من الوُرَيقات التي نشرها من الكتاب السالف ذكره المستشرق دنلوب (D. M. Dunlop) لأنه مثلاً ، قرأ « القشكيك » « تشكيلاً » ، و « المشككة » « مشكّلةً » . وهكذا قرأ « المهين » موضع « المهن » ، و « رؤف » موضع « ردف » ، و « لمتين » موضع « لمذين » ، و « لذلك لا يرد ، والجهور » موضع « ولذلك لا يردف الجمهور » ، و « الأمور الحربية » موضع « الأمور الجزئية » [٢] .

والنص على ما ذكرت مملوء من الأغلاط التي وقعت إما من الكاتب أو كانت في الأصل الذي كان بخط ابن الإمام . واجتهدت في تصحيح كثير من الأغلاط في النصّ وأثبت ألفاظ المخطوطة في الأسفل في كل من الصفحات . والألفاظ التي أضفتها من عندي لتوضيح العبارة أو المعنى وضعتها بين قوسين هكذا : < . . . . > . وقد وجدت فراغاً في مواضع عديدة فبذلت جهدي في سدّ هذا الفراغ في كثير من المواضع الخالية . ورغماً عن هذا يمكن أني سهوت عن بعض الفراغ فبقي غير مسدود .

وكما ذكرت من قبل ، هذه النسخة عتيقة جداً فصارت رديئة في كثير من المواضع في أوراق كثيرة ، فكثيراً ما تلاصقت الأوراق للرطوبة التي لحقتها ، وعندما فرّقوا الأوراق ضاع كثير من الحروف أو الألفاظ بأسرها ، فالعبارة

---

(١) انظر مثلاً ، الأندلس ، ١٩٤٢ ص ١٢ : السطر الأخير : « فاذا يكون حينئذ انساناً بالقوة » ، في نسخة اكسفرد « بالقوة الفكرية » (ورقة ٢١٦ ب) ؛ ١٩٤٣ ص ٣٧ : « وذلك في اليسار فيكون كالحــاكم » وفي المخطوطة : « . . . فيكون كذلك كالحاكم » ؛ ص ٤٠ : « إذ هو منقسم » ، في المخطوطة : « إذ هو جسم منقسم » .

(٢) انظر J. R. A. S. 1945. p. 64

بحيث ناقصة لا يتضح معناها . لقد أثبتُّ هذه العبارات بعد جهد بليغ ومقابلة بعبارات مترادفة وجدتها في تلك الرسالة والرسائل الأخرى من المجموعة ووضعتها بين قوسين شكلها هكذا : [. . . . .] .

ولم يُنشر جزء من هذه المخطوطة من قبل ، ولم يحقق إلى هذا الآن سوى ما نشره الأستاذ المرحوم آسين بلاسيوز من كتاب (تدبير المتوحد) ، (كتاب النبات) ، (رسالة الوداع) ، (ورسالة اتصال العقل بالانسان) ، وأما ما كتبه أوكلي (Ockley) في ترجمته الانكليزية لحي بن يقظان لابن طفيل (انظر حاشية الترجمة المذكورة التي نشرت بمصر) ، أن جميع المخطوطة لابن باجّة حققه ونشره الأستاذ ادورد پوكك (E. Pocock) ، فليس له حقيقة [1] ، إذ لم ينشر الأستاذ پوكك شيئاً من المخطوطة ولم يذكر هذا في مقدمة ترجمته لحي بن يقظان اللاطينية التي سماها (المقدمة ، Elenchos Scriptorum (فهرس المصنفين) ونشرها مع الترجمة ، Philosophus Aufodidactus [2] ، وما ادّعى قطّ أنه فعل هــذا .



(١) انظر ترجمة حي بن يقظان الانكليزية ، طبع القاهرة ، ١٩٠٥ ، ص ٨ في أسفل الصفحة .

(٢) اكسفرد ، ١٦٧١ ، ص A 2 .

(ورقة ١٣٨ ب) ومن كلامه (= ابن باجّة) رضي الله عنه

في النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

والله الموفق والمُعين

< الفصل الأول في النفس >

الأجسام منها طبيعية ومنها صناعية [1] . فالصناعية كالكرسي والسرير، فهذه لا توجد إلا عن إرادة [2] . والطبيعية كالحجر والنخلة والفرس ، وهذه كلها

---

(١) قارن ابن باجة ؛ المجموعة ، بودليانا ، ورقة ١٨٧ الف : « قال أرسطو أن الموجودات منها ماهي بالطبيعة ، ومنها من قبل أسباب أخر عدة ، أولاها من قبل الطبيعة . . . . وقوله ما وجودها بأسباب أخر ، ولم يقل (المهنة) ، لأن من الأجسام ماهي موجودة بالمهنة وتلك مشهورة ، ومنها ماهي موجودة عن أصناف الحيوان وغير الناطق ، وبيّن أن قواها ليس مهناً فان قيل لها مهن فبالاستعارة كالعسل والشمع الموجودين عن النحل ». وانظر . . . . . Aristotle : Physics III. 192 b 8 ؛ الفارابي : إحصاء العلوم ص ٤٥ ، ميدريد ، وأيضاً فصول المدني (مخطوطة بودليانا Hunt 307) . ورقة ٩٢ ب : الأجسام منها صناعية ومنها طبيعية ، والصناعية مثل السرير والسيف والزجاج وأشباه ذلك ، والطبيعية مثل الإنسان وسائر الحيوانات ؛ ابن رشد ؛ رسائل ، حيدر آباد ، ١٩٤٧ . ص ١٢ .

(٢) الأجسام الصناعية ليس فيها قوة الحركة أو السكون طبعاً ، ابن باجة (ورقة ٩٢ الف) ... فان السرير لايتحرك بما هو سرير أصلاً ، ولا أيضاً يتحرك الخشب بقوة فيه إلى أن يصير سريراً ولا يتحرك بقوة يفيده إياها السرير إلى أن يكون سريراً ولا يتحرك الخشب أيضاً بقوة يفيده إياها شيء آخر بل إنما يتحرك مادام المحرك له موجوداً وهو متناهٍ وهذا المحرك هو صناعة وليست بطبيعة .
قارن أرسطو : Phys. II. 1. 192 b 15 — 25 .

كائنة وفاسدة [١] .

وقد بيّن أرسطو في الكتب التي كتبها في الأمور العامية [٢] الأمور الطبيعية أن هذه كلها مؤلفة من صورة [٣] ومادة [٤] على ما هي عليه الأجسام الصناعية . وإن نسبة التماسك [٥] في الذهب الى مادة الذهب كنسبة شكل الكرسي إلى الخشب .

والمادة إما أن تكون غير مصورة بالذات على ما تبيّن في الأولى (ورقة ١٣٩ ألف) من السماع الطبيعي [٦] فالمكوّن منها جسم بسيط ، والأجسام

---

(١) قارن ابن باجة : ورقة ٦ ب : « الأجسام الطبيعية إما أن تكون كلها كائنة فاسدة على ما تشاهد في كل لحمة » ؛ وأرسطو : Phys. II. i. 192 b 9 — 14

(٢) لفظ « العامية » يوجد في كتب الفارابي : (مسائل متفرقة ، حيدر آباد ص ٦ ؛ Al - Farabi's Philosophische Abhandlungen. 87 نشرديتريصي (Dieterici) : سئل عن الأشياء العامية ، وفي تراجم حنين بن اسحاق (كتاب طيماؤس ص ١٩ : الآلام العامية ، نشر بال كراوس (Paul Kraus) ووالسر (R. Walzer) تحت عنوان (Galeni Compendium Tiamaei Platonis) واستعمله ابن باجة في مواضع : ورقة ١٨٧ ب : وهـــذه هي الأمور العامية على الاطلاق للطبيعة ، ورقة ١٦٩ الف : وأما العامية فهي ؛ أما الكندي (راجع رسالة الكندي الفلسفية ، نشر ابي ريده ص ٣٨٢) وابن سينا (الشفا : مخطوطة بودليانا Pocock 125 ، ورقة ٢٣ الف ٣) ، وابن رشد (السماع ، حيدر آباد ، ص ٥ و ١٢) يكتبون « العامة » .

(٣) المخطوطة : صور .

(٤) ابن باجة ورقة ٥ ب ، السماع : ولما شرع في هذا الفحص من النظر وجد رسومها (الطبيعة) قريب المأخذ من العلوم المتعارفة ، ووجد العلم بوجودها في الثلاثة التي هي المادة ، والصورة والفاعل بينا . . . . . أما في الأجسام الصناعية فظاهر ، وأما في الطبيعية ففي بعضها يظهر نحواً مّا من الظهور وفي بعضها يخفى كل الخفاء ؛ وأرسطو :Phys. I. 7. 190 b 20

(٥) النص بنفسه ورقة ١٥٣ الف .

(٦) واستدل ابن باجة قائلاً (ورقة ٧ الف) : فإنا متى وضعنا المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة إلى مادة وصورة ويمر ذلك إلى غير نهاية . . . وهذا أيضاً شنيع بل محال فستنتهي ضرورة إلى مادة غير ذات صورة ؛ قارن أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 8

البسيطة [١] على ما تبين في مواضع أخر أربعة : وهي الأرض والماء والهواء والنار .
فاما أن تكون المادة ذات صورة فلا يمكن أن تكون بهذه الصفة مادة لجسم
طبيعي [٢] غير الأربعة دون أن تختلط بها مادة أخرى . لأن الموجود البسيط
اذا تغيّر ، فانه يتغير إما في صورته ، فيكون عنه موجود آخر بسيط مقابل له
كالماء ، فإنه يكون عنه الهواء [٣] والأرض ، وإمّا أن يتغير في لواحقه [٤]
فيكون ذلك استحالة لا تكوّنا . فمتى كان الموجود البسيط مُزمعا [٥] أن يكون
عنه موجود مركب لزم ضرورة أن يختلط به غير واحد . وكذلك يكون
من الأجسام الصناعية ما يكون عن موجود واحد مصور لأن أنواع الصناعة
لواحق الأجسام الطبيعية إلا أنها لا يقبلها ذلك الموضوع إلاّ من الصانع [٦] .

(١) قارن أرسطو De Caelo III. 1. 298 a 29 .

(٢) « وبجسم طبيعي » ، أراد ابن باجة جسماً مركباً من صورة ومادة ، السماع ورقة ٨ الف : . . . بوجوده الجسم الطبيعي ، ووجوده يتم بوجود المادة والصورة ، وكل واحد منها طبيعة . . . . فالطبيعة أخلق بالصورة من المادة ، إلا أنها لما لم تكن دون المادة لم توجد بالفعل ، فالمادة معاضدة لها ، فالمادة أيضاً طبيعة ، والمجتمع منها هو الجسم الطبيعي ؛ وأرسطو يدعو الاسطقسات الأربعة الأجسام الطبيعية الاولية : Phys. IV. 1. 208 b 8 .

(٣) المخطوطة : هواء .

(٤) يفرق ابن باجة بين التغير في صورة الجسم الذي يسميه « التكون » (انظر النص) وبين التغير في الصفات ويدعوه « استحالة » (السماع ورقة ١٦ . ب : والحركة فى الكيف يقال لها استحالة . وأيضاً النص . . . .) . وقد فصّل في «الكون والفساد» (ورقة ٨٠ ب) بان تكون استحالة أم لا قائلاً : « وبالجملة فمن جعل الموجود واحداً فهو يرى ضرورة أن التكون استحالة . . . . وأما من جعل الموجود أكثر من واحد بالنوع . . . . فهو يضع بالضرورة أن التكون غير الاستحالة » .

(٥) راجع أرسطو Arist. Phys i 7. 190 b 18 .

(٦) هذا مبني على ما قاله أرسطو : « For the helmsman knows and prescribes what sort of form a helm should have, the other form what wood should be made and by means of what operations. In the products of art, however, we make the material with a view to the function, whereas in the products of nature the matter is there all along » . (Phys. ii. 2. 194 b 5)

والأجسام الصناعية منها ما يقبله بأمور تكون كلها موجودة عن الصناعة صرفاً كالكرسي ، فإن الخشب يقبل الصورة عن الصناعة ، وآلاته أيضاً صناعية . ومنها ما يكون المحرك [1] الأول < فيه > الصناعة [2] وتكون آلاته [3] أجساماً طبيعية كالزجاج ، فانه لا يتم وجوده إلاّ بحرارة النار والنار جسم طبيعي . وهذه أصناف : بعضها يكون جميع آلات الصناعة < فيها > أموراً موجودة لا عن إرادة ، وبعضها تكون آلاتها بعضها طبيعية وبعضها صناعية . لكن ما كان آلاته [4] طبيعية فما الجهة التي يكون بها صناعية ؟

فأقول : إن المحرّك منه بالعرَض ومنه بالذات [5] ، فقد يحرك بنفسه وقد يحرّك

---

(١) المخطوطة : المتحرك .

(٢) وقد بيّن ابن باجة : (السماع ، ورقة ٣٢ ب) والمحرك الأول يقال على أنحاء : أحدها المحرك الذي يحرك لا بأن يتحرك كالثلج ، يبرد الاناء لا بأنه يتبرد فان الثلج يبرد الإناء والإناء يبرد الماء ، والإناء يبرد ويتبرد معاً والثلج يبرد ولا يتبرد ، وقد يقال على ما يحرك وهو لا يتحـــرك ولا يمكن فيه أن يتحرك إلاّ بالعرض ، وقد يقال على ما يحرّك ولا يتحرك لا بالذات ولا بالعرض . فظاهر أن القول الأول حدّ لانه بين الوجود ، وأما الثاني فانه أيضاً يتبين انه معنى موجود فان الصناعة تحرك ولا تتحرك ولا يمكن أن تتحرك إلا بالعرض .

(٣) المخطوطة : آلته .

(٤) المخطوطة : آلته .

(٥) هذا التقسيم « للمحرك » مأخوذ من قول أرسطو (راجع Phys. VIII. 5. 256 a 6) ، وابن باجة يذكره مرة بعد أخرى : ورقة ٥٦ ب : « ومنها (من المتوسطات من المحرك) بالذات كاليد التي تحرك العكاز ، ومنها بالعرض فان الأبيض يحرك العكاز . وما بالذات فهي ضرورة متناهية كما بين ذلك في السابعة من هذا الكتاب (السماع الطبيعي) . والمحرك الأول هو الأبعـــد ، فان الأبعد يحرك منفرداً بنفسه ، وأما المتوسطات فكلها إنما تحرك بالأبعد فالأبعد ، والأبعد هو المحرك الأول » . ورقة ٤٨ الف : إن المحرك والمتحرك بعضها بطريق العرض . . . . المحركة بذاتها . ورقة ٥٠ الف : والمحرك ينفصل بتقابل يخصه وهو أن يحرك بنفسه . . . . وقد يحرك بغيره .

راجع أرسطو : De Gen. I. 7. 324 a 30 sq. ،

بتوسط شيء آخر إمّا واحد وإمّا أكثر من واحد ، وهذه الوسائط هي آلات أو كالآلات للمحرك . وأما الصناعة فإنها لا تحرك بذاتها بل تحرّك بآلات [١] . وما يتحرك عن محرّك بهذه الصفة فله أكثر من محرك واحد فيكون له محرك أخير وهو الشيء الذي يلي المتحرك [٢] كالقدوم للخشبة ومنه أو هو الصناعة [٣] . والأخير على ما تبيّن لا يحرك دون الأول ، فأما الأول فإنه يحرك دون الأخير ، فإن الحركة إنما توجد في حين وجودها بحضور تحريك المحرّك الأول . فالمحرّك الأول فاعل الحركة وإليه تنسب [٤] كما تبين في الثامنة .

وكل متحرك يكون المحرك الأول فيه طبيعة فهو طبيعي ، وكل ما يكون المحرّك الأول فيه صناعة فهو صناعيّ [٥] كيف كانت آلاته .

وامّا ان الصناعة قد تتغير فذلك بالعرَض أو بالقصد الثاني ، وقد تبيّن كيف يكون ذلك في الثانية [٦] من السماع [٧] .

---

(١) راجع السماع ورقة ٥٠ الف : إن كل ما ليس بذي نفس فليس محركاً بل هو متحرك منفعل ، وإنما هو محرك باقتران المحرك به .

(٢) السماع ورق ٣٦ الف : وقد ثبت في أقاويلنا في الكون والفساد البرهان على أن الفاعل يلي المنفعل ويماسه . ويمثل ذلك بعينه يمكنه أن يبين أن المحرك يلي المتحرك والذي نريد هنا أن المحرك القريب عندما يبتدىء بالحركة يلي المتحرك . راجع الكون . ورقة ٨١ ب : فالمحرك اذا حرك المتحرك فقد ماس هذا المحرك بطبيعة ذلك المتحرك والمتحرك محسوس . وورقة ٨٢ ب : إن كل متحرك فهو يتلو محركه الأقرب ضرورة . . . . فالمتحرك والمحرك يتماسان . قارن أرسطو : Phys. VII. 2. 243 a 3

(٣) راجع التعليق ٢ . ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ الف .

(٤) راجع السماع ، ورقة ٨٠ الف : فان الإنسان يحرك اليد واليد العكاز ، والعكاز يحرك الحجر ، والمحرك الاول هو الإنسان واليه ينسب الفعل في الحقيقة وهو المستحق الذم والمدح والعقاب والثواب . قارن أرسطو : Phys. VIII 5. 256 a 9 .

(٥) راجع أرسطو : Aristo. Phys. VIII. 4. 254 b 14; II. 1. 193 a 29 .

(٦) المخطوطة : الثامنة .

(٧) إن الصناعة كما ذكر (النص ، ص ٢ سطر ١٢) لا تحرك بذاتها بل بآلاتها ، ويبين ابن باجة معنى « القصد الثاني » قائلاً : (ورقة ٩ الف) « فان إنساناً اذا قصد إنساناً ليحاربه فقد قصد ليحارب من يعاونه لكن بالقصد الثاني لا بالأول » والصناعة توجب التغير وتكمل ما تركتــه الطبيعة ناقصاً . قارن أرسطو ; Phys. II. 2. 194 a 36; II. 8. 199 a 15 .

(ورقة ١٣٩ ب) والصور كيف كانت إمّا أن تكون صناعية أو طبيعية [1] . والصور بالجملة هي كمالات [2] الأجسام التي فيها . وليست كمالات فقط ، بل كمالات متمكنة فيها كالملكات . والكمال إذا كان بهذه الحال سمّي استكمالاً . فالصور إذن استكمالات الأجسام ذوات الاستكمالات بالقوة . وهذه الاستكمالات ضروب [3] : منها ما للموجودات التي فيها تفعل أفعالها دون أن تتحرك بالذات ومنها ما تفعل أفعالها وهي تنفعل .

---

(١) والفرق بين الصور الصناعية والصور الطبيعية أن الأولى وإن كانت موجودة في موادها لا تقدر أن تحرك ماهي فيه ولا الغير ، كما أن الطبيعة تقدر على ذلك . راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ ب : « وليس للصور الصناعية وهي الموجود في موادها قوة على أن تحرك ماهي فيه ولا على أن تحرك غيرها . وهذا هوة الفرق بين الصور الصناعية وبين الطبيعية . فان الصور الطبيعية فيها قوى يحرك بها الأجسام ويتحرك بها الأجسام أيضاً على أنهـــا الحركة . قارن أرسطو : Phys. II. 1. 193 a 30 – 65

(٢) الكمال ، والاستكمال ، وصفه ابن باجة في شرحـــه على السماع الطبيعي ، ورقة ١٥ ب : « ومن الموجودات التي هي أجسام أو في أجسام من جهة أنها أجسام مّا هي محدودة بالطبع كالانسان والفرس ، ومنها ماهي محدودة بعرض. وليس لها في أنفسها قدر يخصها ، فالاول لا يمكن أن يوجد فيه شيء بجزء لأن الكمال متى لم يوجد لم يكن ذلك الوجود » . ورقة ١٦ الف : « وأما الذي يبقى فيه المتغير واحداً بعينه فظاهر أن التغير لا يكون في الجوهر فان كان من عدم الى وجود كالتغير من الجهل الى العلم سمي استكمالاً » . ورقة ١٦ ب : « فالكون والفساد ليسا بحركتين وكذلك الاستكمال وهذا ما لم يلتفته أرسطو بل أجراه مجرى الحركة في مكان آخر ، فالحركة اذاً هي لموجود بالكمال ومن وجود بالكمال والى موجود بالكمال » .

وأما أرسطاطاليس فانه يقول إن الحركة هي استكمال المادة ، والنفس كمال الجسم، انظر : Phys. III. 1 201 a 10, b 4; 2. 202 b 7; VIII. 1. 251 a 9; Met. XI. 9. 1065 b 16, 33

(٣) ابن باجة تكلم على مراتب الكمال في السماع ، ورقة ٢٥ ب : « فان وجود الشيء في المكان جنس من أجناس الكمال وهو على مراتب : فاولها أن يكون في موضع واحد فقط ولا يبارحه حتى يفسد ، ثم من بعد ذلك أن يتحرك حتى يكون في جميع تلك المواضع في زمان زمان فيكون أبداً بالفعل وبالقوة ، والمرتبة الثالثة أن يتحرك فيها على الاتصال » .

ولما كان كل متحرك فله محرك (١) كانت هذه إمّا أن تتحرك عن محرك خارج عنها ، كأكثر الأجسام الصناعية ، وإمّا أن يكون (٢) محركها فيها . وهذه في الصناعة كالميكانات (٣) التي تحركها لتفعل أفعالها تكون فيها زمانا ، وقد لخصت هذه في العلم المدني (٤) .

واما الطبيعية (٥) فتحركها في جميعها ، والجسم الطبيعي مؤلف من محرك ومتحرك (٦) . وأما الصناعية فإن المحرك فيها خارج عن المتحرك ، وهذا المتحرك مقارن بالعرض .

وأما الطبيعية فليست كذلك . وأما هل يوجد من الطبيعة شيء شبيه بالصناعة ففيه موضع فحص غير أنه يشبه ، إن كان ذلك ، أن يكون بوجه آخر . والأجسام الطبيعية انما تتحرك الى مواضعها التي لها بالطبع (٧) إذا كانت

---

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٣٠ الف : « وقد تبين في الثامنة أن كل متحرك فله محرك » .

(٢) المخطوطة : ومنها ما يكون .

(٣) يقول ابن باجة في موضع آخر ، السماع ، ورقة ٣٢ ب : « فان هذه الميكانات والاشياء الصناعية التي يخفى محركها يظهر الحس انها تتحرك من قبلها فيقع العجب منها » . وأيضاً ورقة ١٣٠ الف « وهذا (المحرك) قد يكون طبيعياً وبذاته وهو كأصناف الحيوان ، وقد يكون صناعياً كالميكانة » . وقد ذكر أرسطو : automatic machines ، انظر: Catapult; De Gen. An.. II. 1. 734 b 10; انظر Politics 1331 a .

(٤) الظاهر أن ابن باجة أشار إلى كتابه في السياسة أو العلم المدني كما يذكره ولكن هذا الكتاب ما وصل إلينا ، وقد ذكره مراراً في كتابه تدبير المتوحد ، قارن ص ٤ ، ٢٩ ، ٥٥ ، (ص ٤ : وقد لخصته في العلم المدني) .

(٥) المخطوطة : الطبيعة .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٥٣ ب : « أما الأجسام الطبيعية فقد تلخص القول فيها وبيّن أن حركتها من غيرها ولذلك لا يمكنها أن تقف بوجه ، وأن الجسم الطبيعي مؤلف من المحرك والمتحرك على جهة تأليف الحدّ لا على جهة التركيب حتى يكون هذا في جزء وهذا في جزء آخر » .

(٧) الأجسام الطبيعية لها مكان بالطبع ، انظر ارسطو : Phys. IV. 1. 208 b 8; VIII. 5 253 b 35

في المواضع الخارجة عن الطبع ، لعند ذلك توجد فيها القوة [١] على ما في الطبع فلذلك حركاتها لها . إنما هي تنحو من أنحاء ما [٢] بالعرض . لأن وجودها في مواضع غير طبيعية انما هو لعايق يعوقها ، فإذا زال العايق صارت [٣] الى ما لها بالطبع . فلذلك ظن في هذه أن المحرك هو المتحرك وليس كذلك [٤]. فإن الحجر من جهة أنه بالقوة أسفل ويحرّك من طريق أنه ثقيل فالمتحرك [٥] فيه هو القوة على الأسفل والمحرك [٦] هو الثقل [٧] . فلذلك يتحرك بنحو واحد من الحركة بالطبع الذي فيه .

وليس في المتحرك وجود مضاد للمحرك [٨] إذ المتحرك قوته فقط . وليس

---

(١) القوة يعرفها ابن باجة في ورقة ١٨٩ ب : « القوة تقال على الاستمداد الذي يكون به الشيء كذا وكذا » وقارن أرسطو : Arist : Met. 12. 1019 a 15 .

(٢) ولشواهد « انحاء ما » راجع النص نفسه (آخر الفصل الثاني « حيوانات ما ») ، السماع ، ورقة ١٥ ب : « أجسام ما » ، أيضاً ، ابن سينا : الشفا (مخطوط بودليانا) ورقة ١٨٢ الف : « أو أن يكون الذي يتخيل الوانأ ما مشمول المين » ؛ ورقة ١٨٣ ب سطر ٢٢ : سببها اتصالات ما لا يشعر بها .

(٣) المخطوطة : صار .

(٤) قارن ابن باجة ، السماع ورقة ٥٠ الف : « فان المحرك ضرورة يجب أن يباين المتحرك وهذا شيء لا يمكن في الاسطقسات لأنها بسائط ومتشابهة الأجزاء . فقد بان أن كل ما ليس بذي نفس فليس محركاً بل متحرك منفعل وانما هو محرك باقتران المحرك به » . ويقول أرسطو : «So we are left with a mover, and a moved, and a goal of motion » » (Phys. V. I 224 b 6)

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) المخطوطة : المتحرك .

(٧) النص ، ورقة ١٤٣ ب : كالثقــل في الحجر فانه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك « .... يحرك حيناً ولا يحرك < حيناً > كالثقل » .

(٨) المخطوطة : للمتحرك .

كذلك ذوات الأنفس (١) . فان المتحرك ذو صورة له من أجلها فعل ما ، والمحرك إما أن يحرك حركة مضادة <أو> يحركها للطبيعة (٢) ، كرفع اليد الى فوق ، والطفر فانه يتحرك به الجسد وهو نقل الى فوق ، فلذلك يحرك النفس بآلة (٣) وهو الحار الغريزي أو مايجري مجراه .

---

(١) فلا تحتاج الى محرك خارج فانها تتحرك بذواتها : ابن باجة ، السماع ورقة ٤٨ الف : « والمتحركة بذواتها بعضها من تلقائها وهو الذي لا يحتاج في تحريكه الى آخر غيره كأنواع الحيوان » . ورقه ٥٠ الف : « والصنف الثالث المتحرك من تلقائه وهو يتحرك كالحيوان وهو متحرك عن غيره ولكنه فيه » . أيضاً أرسطو : Phys. VII. 2 243 a 14; VIII. 4. 254 b 15 .

(٢) فتوجد في المتحركات بذواتها حركتان ـ الطبعية والقسرية . راجع ابن باجة ، السماع ورقة ٥٠ الف : « وأيضاً فالمتحركات بذواتها منها ما يتحرك طبعاً ، ومنها ما يتحرك خارجاً عن الطبع وقسراً ، فان حركة الحجر الى فوق هي خارجة عن الطبع ، وقسراً لأنه قد قهر على ما في طبعه ضده » . قارن أرسطو : Phys. VIII. 3. 254 b 20 .

(٣) النفس والروح مترادفان عند العرب ومشتركان عند الفلاسفة . انظر تدبير المتوحد ص ١٨ : والروح يقال في لسان العرب على ما يقال عليه النفس ، ويستعمله المتفلسفون باشتراك . فتارة يريدون به الحار الغريزي الذي هو الآلة النفسانية الأولى ، ولذلك نجد الأطباء يقولون إن الأرواح ثلاثة : روح طبيعي ، وروح حساس ، وروح متحرك ، ويعنون بالطبيعي الغذائي إذ يوقعون الطبيعة في صناعتهم على النفس الغاذية ، ويستعمل على النفس لا من حيث هي نفس بل من حيث نفس محركة ، والنفس والروح اثنان بالقول ، واحد بالموضوع » . السماع ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الغريزي ففيه المحرك الذي لا يتحرك وهذا يحرك الحيوان ، وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه . وإذا ذهب هذا الروح عند موت الحيوان بقيت تلك (المتوسطات) غير متحركة ولا محركة » . الحيوان ورقة ٩٦ الف : « فهناك النفس والآلة الأولى على ما تلخص في الرابعة هي الحرارة الغريزية فحيث ينبوع الحرارة الغريزية فهناك النفس ، والقلب على ما شوهد بالتشريح هو ينبوع الحرارة الغريزية ، فالقلب هو مبدأ الحيوان ، فاما إن النفس حيث الآلة الأولى فإن ذلك قد تبين في الثامنة من السماع » . وأيضاً النص ، ورقة ١٤٥ الف : وهذه الحرارة هي آلة النفس . قارن ارسطو : Arist. De Motu. Animalium. 10. 703 a 10; De Anima II. 4. 416 b 29; Parv. Nat. 14 VIII. 474 a 35 et sq.

والصور صنفان : استكمال لجسم طبيعي لا يقترن فيه المحرك بالمتحرك بالذات . ما يتحرك دون آلة بل يتحرك بجملته . ومنها استكمال لجسم طبيعي متحرك بآلات . والأول يقال عليه الطبيعة بخصوص والثاني يقال له نفس [١] .

فالنفس استكمال لجسم طبيعي آلي . والاستكمال (ورقة ١٤٠ ألف) منه أولي [٢] ومنه أخير [٣] . فإن المهندس عندما يعمل الهندسة يسمى مهندسا [على الكمال] الأخير . فاذا هندس كان على كماله الأخير . والنفس هي الاستكمال الأول [٤] . فلذلك هي استكمال أولي بجسم طبيعي آلي . ووجود الجسم ذا نفس هي الحياة ، فكل جسم متنفس حي .

(١) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ٨ الف : « وذلك ان الأجسام ما يفعل فعله دون آلات كسمو النار وهبوط الحجر وصور أمثال هذه تخص باسم الطبيعة ، ومنها ما يفعل فعله بآلات كاغتذاء النبات وحركة الحيوان ، وصور أمثال هذه الاجسام يقال لها نفس » .

(٢) والكمال الأول ، بالجملة ، هو الذي عند وجوده يستعد الجسم لقبول الصورة من غير أن يتغير بالذات لا بالعرض راجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب ، والتعليق الآتي .

(٣) لقد أوضح ابن باجة الفرق بين الكمال الأول والأخير في السماع ورقة ٤٩ الف و ب : « وكذلك المهندس عندما ينام أو عندما لا يستعمل علمه بالهندسة فهو مهندس بالقوة على غير هذا الوجه الذي به المتعلم مهندس . فان قوة المتعلم هي إما جهل أو يقترن بها جهل . وإما النائم أو الذاهل عن عمله فليس قوته جهلا ولا مقترنة بجهل بل هو على حال مقابلة للجهل ، فان المهندس النائم ليس يصدق عليه جاهل بالهندسة كما يصدق على من لا يعلمها من الناس الطبيعيين » . أيضاً النص ورقة ١٥٥ ب : « وأعني بقولي الأول كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ، والموسيقار مالا يستعمل صناعة الموسيقى . . . حين يستعمل اللحن » . وأيضاً ورقة ٢٢٠ ب : « فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفعلة وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة ، إلا أن النبات أعطي كماله الأخير ولم يعط الكمال الاول مفرداً ولذلك لم يوجد للنبات حس ، فان الحس كمال أول ، وكماله الأخير أمور غير محدودة بل هي بالذات غير متناهية وإنما تتناهى بالعرض .

(٤) واجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب : « أن النفس هي الاستكمال الاول » . وقارن أرسطو : Arist : De Anima II. 1. 412 b 5.

ويتبين ان النفس من المتفقة أقوالها . فان قولنا «استكمال» يقال بتشكيك [1] ، وكذلك قولنا «جسم» وكذلك قولنا «آلة» ؛ فالنفس إذاً يقال لها بالنحو من التشكيك الذي يقال به الضعيف والكثير وما جانسه . فلذلك يجب أن نفصل فيقال ان النفس الغاذية هي استكمال الجسم الآلي المغتذي ، والحساسة استكمال الجسم الآلي الحاس ، والمتخيلة هي استكمال الجسم الآلي المتخيل . وأما الناطقة فالنفس يقال عليها بنوع من الاشتراك أظهر من هذه .

وكل علم على ما يقوله أرسطو حسن جميل [2] . غير أن بعضه أشرف من بعض ، وقد عددت مراتب شرف العلوم في مواضع كثيرة . والعلم بالنفس يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية بأنواع الشرف كلها . وأيضاً فان كل علم مضطر الى علم النفس [3] فليس يمكننا الوقوف على مبادئ العلوم ما لم نقف على النفس ونعلم ما هي بالحد على ما بيّن في مواضع أخر . وأيضاً فإن من الأمور الذايعة أن من لا يوثق بأنه يعرف حال نفسه فهو أخلق أن لا يوثق به في معرفة غيره . ونحن إن لم نعرف حال أنفسنا وما هي وإن لم يتبين لنا ما يقال فيها هل قيل على الصواب أم لا يوثق [4] بذلك ، فنحن أحرى أن لا نثق بما يتبين لنا في سائر الأمور .

وأيضاً فإن العلم بالنفس يكسب للناظر قوة على أخذ مقدمات لا يكمل العلم الطبيعي دونها . وأما الحكم المدنية فلا يمكن أن يكون القول فيها على نظام قبل المعرفة بأمر النفس .

---

(١) الاسم إن كان حصول معناه في بعض الافراد أولى وأشد من الآخر كالوجود بالنسبة الى الواجب والممكن فهو عند المنطقيين مشكك ، والحال تشكيك ومعناه اظهار الشك ويستعمل للاشتراك والابهام ، انظر محمد علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٧٨٠ ، أيضاً Goichon : Lexique p. 162 .

(٢) قارن أرسطو : Arist, De Anima. I. 1. 402 a .

(٣) قارن أرسطو Arist : De An. I. 1. 402 a 4 .

(٤) المخطوطة : لاوثيق .

وأيضاً فان العلم يشرف إما بالوثاقة وهو أن تكون أقاويله يقينية ظاهرة ، وإما بشرف الموضوع وإعجابه كالحال في علم حركات النجوم . وعلم النفس فقد جمع الحالين معاً . وأخلق بعلم النفس أن يكون أشرف العلوم جميعاً ما خلا العلم بالمبدأ الأول . فيشبه أن يكون ذلك بوجه آخر مباينا[١] لسائر العلوم بحسب مباينة الموجودات[٢] عنه أيضاً . وأيضاً فان العلم بالمبدأ الأول لا يمكن ما لم يتقدم العلم بالنفس[٣] والعقل وإلا كان معلوماً بوجه أنقص .

وأكمل الوجوه التي يعلم بها المبدأ الأول العلم الذي يستعمل فيه القوة التي يفيدها علم النفس .

والعلم بالشيء ينسب إليه أنواع من النسب[٤] أولاها وأخراها بالتقدم علم[٥] ما هو ، والآخر علم لواحقه الذاتيـة الخاصة به ، والثالث (ورقة ١٤٠ ب) علم لواحقه الذاتية العامة[٦] — علم على سبيل الاستعارة .

---

(١) المخطوطة : مباين .

(٢) المخطوطة : مباينه للموجودات .

(٣) وكتب ابن سينا في شرحه على كتاب النفس لأرسطاطاليس : (عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ص ٧٥) أما معونتها في العلم الطبيعي فظاهر لأنها تعرف أحوال الحرث والنسل ، ولأن السماء أيضاً تتحرك بالنفس . . . . وأما في العلم الالاهي فلأن من النفس يتوصل الى معرفة الأمور المفارقة وتصور كيفية الإدراك بالعقل .

(٤) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٠٩ الف و ب . « والعلوم اليقينية ثلاثة : أحدها اليقين بوجود الشيء فقط وهو علم الوجود ، وقوم يسمونه علم انّ الشيء . والثاني اليقين بسبب وجود الشيء فقط ، وقوم يسمونه علم لِمَ الشيء . والثالث اليقين بهما جميعاً » . قارن أرسطو : Met. III. 2. 996 b 14; 1030 b 20; 1086 b 5; 1086 b 33; 999 b 26. Anal. Pos. I. 11; II. 19. 100 a 6; I. 24. 85 b 13; Zeller: Arist. Vol.I. 194.

(٥) المخطوطة : على .

(٦) المخطوطة : العامية .

وعلم ما الشيء [1] إما [2] غير تام ، وهو أن يعلم بأحـد أجزاء حده [3] التامة — وهذا أصناف ، وتلخيص أصنافه في غير هذا الموضع — وإما تام وذلك أن يعلم بما يدل عليه حده .

والحد يقال بتقديم وتأخير على معان يشترك كلها في وجودها مساوية في الحمل على الشيء فهو لذلك خاصة بالشيء . والمقولة تتأخر هي بتأخر كل ما ألف من أشياء لا يتقوم بها الشيء ، وقد تبين في غير هذا الموضع أن الأشياء المقومة للشيء هي أسبابه [4] . والحدود المتأخرة هي <لا> تأتلف من أسباب بل إنما ألفت [5] من اللواحق ، وهذه قد تكون بعيدة وقريبة [6] وتكون ذاتية وغير ذاتية .

والحد الذي يقال بتقديم هو ما ألف من الأسباب وهـذا أيضاً أجناس كثيرة ، منها ما يؤلف من الأسباب البعيدة ومنها من القريبة ، وهو أخلق أن يكون حدا .

---

(١) المخطوطة : لشيء .

(١) راجع النص نفسه . الصفحة الآتية : وأيضاً فان من العلوم ..... أو لا علم الشيء .

(٢) المخطوطة : ما .

(٣) قارن أرسطو Ana. Pos. III. 10. 93 b 29 . وابن رشد عرف الحد فقال : « هو قول يعرف ماهية الشيء بالأمور الذاتية التي بها قوامه » تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدر آباد ص ٤٤ .

(٤) قارن أرسطو Arist. Phys. II. 3. 194 b 23 .

(٥) المخطوطة : الالت .

(٥) إن الكاتب غلط في كتابة « ألفت » مرة بعد أخرى ، فكتب « الالت » في سائر المواضع : ورقة ٩٠ الف : بذلك الالت (الفت) من أمثال هذه .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢١١ ب و ٢١٢ الف : « وكل واحد من هذه (أي الأسباب) إما قريب وإما بعيد .... فان السبب الذي بالذات لا بد أن يكون قريباً أو بعيداً أو أعم أو أخص أو بالقوة أو بالفعل » .

والأسباب بالجملة أربعة (١) : المادة والفاعل والصورة والغاية . وهذه قد تكون خاصة وقد تكون عامة بأن تجنس صورة لكنها عامة . والأحرى أن يكون حداً بالتقديم ما ألف من الخاصة (٢) . وكذلك قد تكون بالقوة وقد تكون بالفعل . والأحرى أن يكون بالتقديم ما ألف منها بالفعل .

وهذا الصنف من الحدود إما أن يكون معلوماً بنفسه فيكون معطى ، وإما أن يكون مستنبطاً ، والاستنباط إما بطريق القسمة أو بطريق التركيب ، كما بين في غير هذا الموضع (٣) . وأمثال هذه الحدود تجري مجرى الحدود والمعطيات (٤) ، وإما أن يستعمل في استخراجها البرهان المطلق ، وهذه ثلاثة أصناف (٥) ، إما أن يكون نتيجة برهان أو مبدأ برهان أو يكون برهاناً متغيراً بالوضع (٦) ، وهو أكمل الحدود وأولاها بالتقديم .

وأما الأدلة (٧) فانها تفيد أجزاء الحد بالعرض لا بالذات . وقد لخصت هذه كلها في انالوطيقا الثانية .

---

(١) ابن باجة ، السماع ورقة ٥ ب : « ووجد العلم بوجودها أولا في الثلاثة التي هي المادة والصورة والفاعل بينا ، ووجد الرابع هو الغاية مشكوكاً فيه . ورقة ٢١١ ألف : فقال والأسباب أربعة لعددها » . قارن أرسطو : Arist. Phys. II. 3. 195 a 15; 194 b 23 — 195 b 21; Met. w. 2; An. Pos. 94 a 20.

(٢) قارن أرسطو : Arist.An. Pos. II. 13. 97 b 25 — 30 .

(٣) ابن باجة كثيراً ما يشير الى طرق الاستنباط ، راجع الحيوان ورقة ٩٢ الف : « فأسباب الشيء قد يدرك بالحس وقــد يدرك بالقول وذلك إما بالتقسيم أو بالتركيب أو بالبرهان أو بالدليل » . الآثار العلوية ورقة ١٧ ب فان الحدود كما قيل في انالوطيقي تؤلف إما بطريق التقسيم أو بطريق التحديد أو بطريق البرهان . وهذه الطريق غير طريق كتبها بقراطيس » . قارن أرسطو : An. Pos. II. 5. 91 b 12; Phys. VIII. 1, 252 a 24 وابن رشد : السماع ص ٢١ ، حيدر آباد .

(٤) قارن أرسطو An. Pos. I. 2. 72 a 15 — 24; II. q. 93 b 21 .

(٥) أرسطو : Arist : An. Pos II. 10. 94 a 21 .

(٦) أرسطو : An. Pos. II. 10. 94 a 2, a 21 .

(٧) الدليل عرفه أرسطو بأنه قضية برهانية تثبت بالضرورة أو بالاطلاق An. Pos. II. 27. 70 a 7

وإذ كنا نطلب في النفس هذا النحو من العلم ، وأخلق به أن يكون مرامه صعباً ، إلا أنه وإن كان صعباً فليس بغير ممكن .

وأما أن تكون النفس ليست من المعطيات من حدودها فذلك بيّن . وأما أن تكون من المستنبطة حدودها فذلك بيّن .

وأيضاً فان من العلوم التي تتلو[1] أولاً علم ما الشيء[2] وكأنها كمال له . فهو ان يعلم هل ذلك الشيء واحد أم ليس بواحد . فإن كان واحداً فهو ذو أجزاء ، أم ليس بذي أجزاء وإن كان ليس بذي أجزاء فهل هو ذو قوى أو هو قوة واحدة ، وهذا كله يجب أن يطلب في علم النفس[3] . فان هذه كلها آراء لمن تقدم . فان من تقدم قد رأى أن النفس تدل على كثير على نحو من أنحاء المشككة أسماؤها . ومنهم من رأى أنها ذات أجزاء كثيرة على طريق الانفصال على ما يراه ديمقراطيس[4] ومن يقول بالأجزاء (ورقة ١٤١ ألف) . ومنهم من رأى أنها واحدة ذات أجزاء بالموضوعات على ما يراه جالينوس الطبيب[5]

---

(١) المخطوطة : تتلوا .

(٢) قارن أرسطو : De Anima. I. 1. 402 a 12 .

(٣) أيضاً .

(٤) رأى ديمقراطيس أن النفس جوهر مركب من أجزاء لا تنقسم ولا تنفصل ، راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٠ ب : « أو أجزاء لاتنقسم ولا تنفصل كما يراها ديمقراطيس » . قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 1; 405 a 10 .

(٥) قارن كراوس (P. Kraus) ووالسر (R. Walzer) : Galeni Compedium Timaei Platonis ، النص العربي ص ٦ : وجعل النفس التي فيه من الجوهر الذي لاينقسم الباقي دائماً بحال واحدة ومن الذي ينقسم في الأجسام ؛ ص ٧ : ثم ان طيماوس من بعد هذا الكلام يصف كيف تنقسم نفس العالم في جميع أجزائه ؛ ص ٩ : ثم قال فلما أتم خلق العـــالم قسم الأنفس وجعل عددها كعدد الكواكب وصيّر كل واحد منها في واحد من الكواكب وأراها طبيعة العالم وسنّ لها السنن وبينها لهـــا » . أيضاً برجستراسر (Bergstrasser) : Galeni in Hippocratis De Septimanis ، ص ١٠٠ : « أعني النفس فجزّأها بأجزاء سبعة . فقال ان النفس سبعة أجزاء ، فاعلموا أنه ليس (أبقراط) وحده قال ان النفس مركبة من اجزاء شتى سبعة لكن ذكر أكثر افاضل الفلاسفة ووجوههم شبه أفلاطون وأصحابه » .

وهذا رأي قد كتبه فلاطن في طيماوس (١) .

وما يجري هذا المجرى في النفس خاصة ويتشوق إليه أولاً حتى يكاد أن يكون الطلب لعلم النفس إنما هو من أجل هذا ــ فهو : هل هي مما تفارق أو ليست جملة مفارقة . ولذلك تجد أرسطو يقول في أول المقالة الأولى (٢) ، إن وجد للنفس فعل يختص به فيها دون الجسد أمكن أن تفارق . فانما بدأ بهذا القول قبل أن يشرع في الفحص عن هذا لأجل هذا الشوق السابق . وهذا كله مما يزيد هذا الجزء من العلم الطبيعي صعوبة .

وإذ كنا مزمعين (٣) على القول فهل هذا من النظر في الأجسام التي هي فيها أو من اللواحق التي تنسب الى الجسد (٤) الذي (٥) هي فيه ، كالصحة والمرض ، أو من الأفعال التي تنسب اليها كالغضب والرضا (٦) . فانها إن لم تكن مفارقة أصلاً فكل الأفعال المنسوبة اليها مشتركة من الجسد إلا أن بعضها من أجلها وبعضها إما من أجل (٧) الجسد أو به (٨) .

ولما كان الحد على ما تبيّن في أنالوطيقا الثانية (٩) لا يمكن أن يأتلف حتى

---

(١) انظر ورقة ١٨٧ ب (ابن باجة) : « ولذلك لما رأى فلاطن إن النفس مفارقة ، مفارقة معنى ، ولزم عن هــذا أن تكون النفس بلا نهاية بالفعل »
قارن أفلاطون : Plato : Timaeus (Trans.), Jowett, Vol. III. 35, 37 ؛
أرسطو : Arist : De An. I. 2. 404 b 16 .

(٢) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 10 . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر أحمد الأهواني ، ص ١١ .

(٣) كثيراً ما يستعمل ابن باجة « أزمع على » و « أزمع ان » ، الحيوان ، ورقة ٩١ ب : مزمعاً أن يكون ، ورقة ٩١ الف : مزمعاً أن يجري ؛ تدبير المتوحد ص ٦١ . والتعليق ١٠ .

(٤) المخطوطة : الحد .

(٥) المخطوطة : الى .

(٦) المخطوطة : المرضي .

(٧) المخطوطة : داخل .

(٨) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 5—15; 403. a 28; 403 b 16; 402 a 6 .

(٩) أرسطو : Arist : An. Pos. 97 b 7; 28 .

يوجد الجنس الذي يوصف به ، فانه متى وضعنا حداً لم يأتلف من جنس الشيء كان أجزاؤه مدلولاً عليها بالأسماء المشتقة . إذ لا يمكن أن يحمل أمر على شيء ما مدلولاً عليها بالمثال الأول غير الجنس ، وكان هذا الحد (١) ينبئ عن وجود أمر في موضوع لم يصرح به فكان ناقصاً ومنبئاً بنقصة . فلذلك يجب أن نفحص أولاً عن الجنس الذي يجب أن يحمل عليها وتوصف به ، لنجد به السبيل الى التحديد . فإن الجنس والفصل كل واحد منهما يوجه غير الوجه الذي به الآخر ، لأن الجنس هو الفصل بالقوة على أنه يتصور به . فهو بالقوة بنحو شبيه بالقوة التي تقال على المادة (٢) . فهو بالقوة شيء خارج عنه .

وأما الفصل فهو الحد بالقوة كما يقال ان الكل فيه أجزاؤه بالقوة . والجنس موجود في الفصل بالقوة على جهة مناسبة لوجود الجزء في الكل . هذا متى أخذ كل واحد منهما يدل على جملة المجتمع ، فكان ذلك جنساً من حيث هو جنس وهذا فصلا (٣) من حيث هو فصل . فأما اذا أخذ من حيث الحد (٤) <فالجنس> نتيجة برهان والفصل مبدأ برهان أو يجريان مجراهما . وذلك من حيث هما أجزاء المحدود كان عند ذلك كل واحد منهما الحد بالقوة بأنحاء أخر على ما (ورقة ١٤١ ب) في كتاب الحروف (٥) .

---

(١) المخطوطة : داخل .

(٢) شبّه ابن باجة الجنس بالمادة والفصل بالصورة . فالمادة وصفها أرسطو بالقوة والصورة بالفعل ، قارن أرسطو :

Met. 1043 a 19 : « For the formula that gives the differentiae seems to be an account of the form and the actuality, while that which gives the components is rather an account of the matter ». Also De An. II. 1. 412 a 10.

(٣) المخطوطة : فصل .

(٤) المخطوطة : الجسم .

(٥) راجع أرسطو : Met. Z 12. 1037 b 29 Sq. ؛ وابن رشد ؛ تفسير مابعد الطبيعة ، بيروت ، ص ٩٤٧ و ٩٥١ و ٩٥٦ .

ولما كانت الطرق المسلوكة في استخراج الحد على ما تبين في أنالوطيقا الثانية ثلاثاً[(١)] : طريق التقسيم ، وطريق التركيب ، والطريق المستعمل فيها البرهان ، فأيّ الطرق يجب أن تسلك [...] حداً للنفس ؟ فطريق التقسيم لا يمكن فيها[(٢)] ، إذ الجنس الذي تترتب فيه ليس بمعروف فإنه لو كان ظاهراً بنفسه لما وقع التنازع فيها هل هي جسم أم لا .

وأما الطريق المستعمل فيها البرهان فذلك أيضاً غير ممكن فيها ، فان التصورات التي تصورت بها ليست واحدة[(٣)] ، وبعضها مركب من أشياء ليس بعضها لبعض بالذات ولا هي لازمة عن مقاييس فيمكن أن ننظر أوثقها فنستعمله . وفي الجملة ليس فيها لدينا سبيل نقدر بها على تقديم بعضها على بعض . وأيضاً فانا[(٤)] متى تأملنا تلك التصورات التي اقتسمتها الأقدمون من المتفلسفين ، لم نجدها لامتناقضة ولا متلازمة ، لكن يظهر منها لمن تأملها أن النفس مما يقال باشتراك . فإن أمكن في تصوراتها أن تعقل ويُطلب البرهان عليه — إن يكن[(٥)] — إنما وجدنا حداً من حدودها يقال عليه النفس ، ولم نجد المعاني التي يقال عليها النفس . فان النفس إن قيلت باشتراك فانما يقال بالنوع المشكك فيه . فلم يبق إلا طريق التركيب .

وظاهر أن طريق التركيب انما استعمل فيها لسبق العلم بوجوده ، والنفس من الأمور الظاهرة الوجود ، وطلب تبيين وجودها شبيه بطلب وجود الطبيعة . وهو من فعل مَن لا يعرف الفرق بين المعلوم[(٦)] بنفسه والمعلوم[(٦)] بغيره . فان

---

(١) المخطوطة : ثلثة .

(١) راجع التعليق ٢ .

(٢) قارن أرسطو De an I. 1 402 a 18 — 20 .

(٣) المخطوطة : واحداً .

(٤) المخطوطة : فان .

(٥) المخطوطة : يكون .

(٦) المخطوطة : الملوم .

من المعلومات المعلومات الأُول ، ان الفرس والانسان ذو نفس ، لكن هذا النحو من الفكرة إنما يلتئم (١) بالنظر في كل ما يقال عليه النفس ، فلذلك ينظر في أنفس جميع الحيوان ، لأن في صور النبات موضع فحص .

وهذا النحو من النظر لم يكن مَن تقدم أرسطو ينظره . فان قصد المتقدمين(٢) إنما كان في نفس الإنسان خاصة حسب ما يرشد اليه نظرهم في الأمور المدنية التي كان الفحص في ذلك الزمان مقصوراً عليها فليس انما تنظر أنواع الأنفس لهذا (٣) الغرض فقط(٤) بل لأن العلم بكل واحد من الأنفس جزء من العلم الطبيعي .

فنقول : إن كل نوع من الحيوان فهو جسم مركب غير متشابه الأجزاء (٥) ولا متصلها ، بل أجزاؤه منفصلة بنهايات تخصها ، يلقى بعضها بعضاً إمّا على التمام وإمّا على مفصل ، وهو إذا كان أحدهما يتحرك في الآخر ، فان هذا شامل لكل حيوان . وأيضاً فان من (ورقة ١٤٢ الف) الأمور المعروفة ان كل حيوان فهو متحرك حساس ، وهو يحس بأجزاء تتحرك [وتحس] فهو مؤلف منها .

وبيّن أن الحيوان من جنس جسم وصورة ، فأما على [أي جهة] يقال انه مؤلف من جسم وصورة ، وهل النفس هي الجسم أو الصورة ، فذلك بيّن عند

---

(١) « التأم » ، كثيراً ما يستعمله ابن باجة ، راجع تدبير المتوحد ص ٣١ ؛ السماع ، ورقة ٩ الف « أمر رابع لا يلتئم وجود الشيء إلا به » ؛ « فان هذه متى وجدت التأم بها » ؛ ورقة ٨ ب : « لا يلتئم وجود بعض الأجسام » .

(٢) راجع أرسطو : De An. I 1, 402 b 4 .

(٣) المخطوطة : هذا .

(٤) الاشارة الى مطالعة العلم المدني .

(٥) ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٣ ب : « وأما مركبة متشابهة الاجزاء كالذهب والنحاس » .

من يثق بنظر نفسه . وقد بحث عن ذلك الاسكندر في كتابه في النفس [١] وبيّنه فليؤخذ من هناك .

واستقرّ الأمر على ما هو بين ان النفس هي صورة لمثل هذا الجسم [٢] ، وإذا استعملنا التقسيم الذي لخصناه قبل لزوم هذا . وذلك أن النفس استكمال لجسم طبيعي آلي [٣] ، فهذا يشمل كل نفس وكل قوة من قواها سواء كانت ذات قوى أو ذات أخرى .

ولما كان قولنا « استكمال » مما يقال بتشكيك ولم يكن قولنا « طبيعي آلي » مترادفاً [٤] كقولنا « الكلب النباح » في الكلب [٥] ، فبيّن أن النفس مما

---

(١) العبارة شاهدة على أن الكتاب كان موجوداً باللغة العربية في عهد ابن باجة . وأظن أن ابن باجة أراد شرح الفارابي على تلخيص كتاب النفس للاسكندر الافروديسي الذي ذكره القفطي (تاريخ ، ليبسك ، ص ٢٧٩ تحت الفارابي) تحت عنوان « كتاب شرح الاسكندر في النفس » . فانه يعتمد على كتب الفارابي في العلوم الفلسفية كما يظهر من قوله ، ورقة ٢١٩ ب : « وكرر القول فيها ابو نصر ومكانه من هذا العلم مكانه . لكن لا يوجد في جميع كتبه التي وصلت إلى الأندلس هذا النحو من النظر » .

(٢) راجع أرسطو : De An. II. 2. 414 a 16 ؛ ولقد أوضح ابن سينا في الشفاء (ورقة ١٥٦ الف ، مخطوطة بودليانا) فقال : « فالنفس كمال أول . ولأن الكمال كمال الشيء فالنفس كمال لشيء ، وهذا الشيء هو الجسم وليس هذا الجسم لذي النفس كماله » .

(٣) ولقد صرّح ابن سينا ان النفس « ليست كمال الجسم الصناعي كالسرير والكرسي وغيره ، بل كمال الجسم الطبيعي ، ولا كل جسم طبيعي ، فليس النفس كمال أرض ولا نار . بل هي في عالمنا كمال جسم طبيعي يصدر منه كمالاته الثانية بآلات يستعين بها في أفعال الحيوة التي أولها التغذي والنمو ، فالنفس التي نحدها هي كمال أول لجسم طبيعي آلى له أن يفعل أفعال الحيوة » أنظر أيضاً التعليق ٣٥ و ٣٨ .

(٤) المخطوطة : مردافا .

(٥) اصطلاح « طبيعي آلي » ليس مثل اصطلاح « الكلب النباح » ، فان الثاني مركب من المرادفين لان « النباح » ليس هنا فصل الكلب فقط : ابن باجة ، السماع ، ورقة ٤٨ ب : فقولنا المتحرك الذي ليس واحد من هذين مركب تركيب ترادف وتعاون ، كقولنا « الكلب النباح » لأن النباح « فصل الكلب » .

يقال بتشكيك [1] وانها من المتفقة أقوالها .

وانها ليس هناك طبيعة واحدة تشتمل على جميعها [2] فانها [3] لو كانت متجانسة لكانت الأفعال متجانسة ، وأفعال الحيوان هي اغتـذاء وحس وحركة وتخيل ونطق . وليس اثنان من هذه متجانسة فتكون القوى عليها متجانسة ، بل بعضها يتقدم بعضاً كالاغتذاء والحس ، وبعضها يناسب بعضاً كالحس والتخيل . وكذلك القوى والنفس بتقديم وتأخير وتناسب . فلذلك لا يمكن أن يطابق بالحد جميع ما يقال عليه النفس بنحو واحد ، ولذلك لا يمكن أن تستعمل فيها الطريقة [4] البرهانيـة .

وإغفال هذا النظر أحد الأسباب الذي له ذهب على الأقدمين أمرُ النفس . فإن الأقدمين كان الجميع منهم متفقين على أنهـا جوهر [5] ، فلذلك كانوا

(١) راجع النص ، والتعليق ٤٠ ، أيضـاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٢ .

(٢) قارن أرسطو : Arist. : De Anima II. 2. 413 b11 .

(٣) المخطوطة : فانه .

(٤) المخطوطة : الطريق .

(٥) عند صاحب التعريفات هناك خمسة جواهر تحت كل حقيقة — الهيولى ، الصورة ، الجسم ، النفس ، والعقل — المادة الأولى جوهر يمكن له الدوام أو عـدم الدوام ، وتقبل الصور الجسمية والنوعية ، الصور الجسمية تدركها الحواس (على الفور) ، والجسم جوهر قابل للأبعـاد الثلاثة او الجواهر البسيطة . النفس او الروح الحيواني جوهر بسيط يمين قوى الحياة ، ويقدر على الاحساس وحرية الفكر ، وهو متصل بالجسم ، والعقل جوهر مجرد من المادة ، يتعلق بالجسم ويدبره . دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٠٢٧ (بالانكليزية) والفارابي عرف الجواهر الأولية بأنها أفراد متشخصة لها وجود بذاتها ، والجواهر الثواني هي أنواع واجناس توجد بوجود الافراد ، (انظر مسائل متفرقة ، حيدر آباد ، ص ٨ — ٧ ، ودييتريصي ، ص ٨٩) . وابن سينا كتب فصلاً مستقلاً في الشفاء على هذه المسألة فقال : « أن النفس داخلة في مقولة الجوهر » ... وأخيراً قال : « فالنفس إذن ليست من الأعراض التي لا يختلف بها الأنواع ولا يكون لها مدخل في تقويم الموضوع ، فالنفس إذن كمال كالجوهر لا كالعرض ، —

يطلبون أن يجعلوها تحت أنواع الجوهر ، فقال بعضهم انها نار [1] ، وقال آخرون انها دم أو هواء [2] . وبعضهم [3] لما استحال عنده أن يكون جسما رام أن يجعلها تحت مقولة أخرى . وبالجملة فكان الجميع منهم يرتبها في المقولات العشر .

ولما تبيّن لفلاطن انها يجب أن ترتب في الجوهر ، وتبيّن له أن الجوهر يقال على الهيولى [4] وهي الجسم وعلى الصورة [5] ، وتبين له أنّ وضعها جسماً محال ، رامَ تحديدها من جهة مايخصها . ولما كان يضع أن صور الأجسام المستديرة أنفس نظر فيما تشترك فيه هذه كلها ، فوجد الحس يختص

— وليس يلزم هذا أن يكون مفارقاً أو غير مفارق ، فانه ليس كل جوهر بمفارق فلا الهيولى مفارقة ولا الصورة » . (ورقة ١٠٨ ب . Bodl. Ms. Poc. 125).
وفي خزانة المجمع الملكي الآسيوي ، كلكته، مخطوطة عنوانها : « رسالة للأرسطاطاليس في النفس » ، والرسالة منسوبة لابن سينا في بعض من نسخها الموجودة بخزائن لندن وليدن ، وقد نشرتُ هذه الرسالة مع ترجمتها الانكليزية في « أرمغان علمي » ، لاهور، ١٩٥٥م، تحت عنوان A Treatise on the Soul ascribed to Ibn Sina، وهي محتوية على فصل في أن النفس جوهر ، واليك الفصل كاملاً : « الفصل الثالث : كل قابل للمتضادات وهو بالعدد واحد فهو جوهر ، والنفس قابلة للبر والفجور والجرأة والجبن متضادات ، فالنفس جوهر ، وأيضاً فان كل متحرك الجوهر من ذاته هو جوهر ، والنفس محركة للجسم الذي هو جوهر فالنفس إذاً جوهر ، وأيضاً فان النفس جزء من الجوهر الذي هو الحيوان ، لأن كل حيوان نفس وجسمٌ ، وجزء كل جوهر جوهر فالنفس إذن جوهر » .

(١) راجع التعليق ٥٨ .

(٢) قارن أرسطو : De An. I. 2. 405 a 22; 25; 405 b1 sq .

(٣) لعله أشار ابن باجة إلى أفكار انكساغورس (De An. 1. 2. 405 a 14) . انبدقلس (De An. 404 b 11) ، وغيرهما .

(٤) المخطوطة : المقولة .

(٥) قارن الفارابي : مسائل متفرقة ، حيدرآباد ، ص ١٩ . ديتريصي ص ٩٩ .

بالحيوان (١) ووجد الحركة تعمّها ، كلها فلذلك حدها بأنها « شيء محرك ذاته » (٢) ، فان الشيء دلّ به هنا على ما يدلّ قولنا « موجود » . وانما حدّها (٣) كذلك لأنه كان يرى ان كل محرك فهو متحرك ، إذ كان لا يمكن (ورقة ١٤٢ ب) عنده أن يحرّك شيء دون أن يتحرك (٤) ، وقد فحص عن هذا القول في السابعة من السماع (٥) .

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An I. 2. 403 b 25 .

(٢) كما قال ابن باجة : ورقة ٣٣ ب : « فان كان محرك مّا أولّ يحرك لا بأن يتحرك عن غيره فذلك متحرك بذاته . قال هنا انتهى النظر بافلاطون ولذلك رسم النفس أنها شيء يحرك ذاته ، غير أن القول لم يلزم أن مثل هذا لا يحركه غـــيره بالاطلاق ، بل انما لزم عنه أنه لا يحركه محرك خارج عنه فانما ألزم محالاً مّا » ؛
قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 20; 406 b 11; 406 b 27; Phys. VIII. 9. 265 b 33.

(٣) المخطوطة : حدّه .

(٤) وابن باجة يبين في السماع الطبيعي (ورقة ٣٣ ب ، وقد نقل تحت التعليق ٨٦ .) إن أفلاطون إنما قال بان النفس شيء يحرك ذاته ولكن هذا القول لا يلزم منه ان مثل هذا لا يحركه غـــيره بالاطلاق . بل الحاصل أنه لا يحركه محرك خارج عنه وهذا كما ترى ليس بسديد ، فكل ما يكف عن الحركة بكف غير فهو متحرك من غيره ، ففكر أرسطو في الأمر وذهب إلى أن كل متحرك فحركه غيره بالاطلاق ؛ انظر أيضاً ورقة ٣٥ ب : « وأرسطو لما نظر في هذه الأمور ووجد قولنا كل ما يكفّ عن الحركة بكف غيره (المخطوط : بكفاف غيره) فهو متحرك من غير بينة بنفسها ظاهرة ، ثم تأمّلها من هذه الجهات تمم ما كان أفلاطون وقف دونه فوضعها وأنتج ان كل متحرك فحركه غيره بالاطلاق » .

(٥) راجع ابن باجـــة ، السماع الطبيعي ، ورقة ٥٣ ب ؛ أرسطو ؛ VIII. 5, 256 a 13; I, 241 b 24 sq.; Phys. VII. 2. 243 a 13

وأما مناقضة الآراء المكتوبة في النفس فقد تقصّى ذلك أرسطو في الأولى من كتابه في النفس[1] فلنضع هذا التصور كذلك مجملاً .

فأما الفحص عن النفس[2] فإن أرسطو يشرع فيه على هذ النحو الذي نقوله : لما كانت الأنفس بعضها متقدمة بالطبع وبعضها متأخرة ، وأشدها كلها تأخراً النفس المتخيلة ، فإن الحس يتقدمها .

وقد يُظن[3] أنه يكون حيوان لا تخيّل له كالدود والذباب[4] ، وان كان له تخيل فليس بمفارق للحسّ ولا هو محصل .

وأقدم قوى الحس كلها اللامسة ، وقوة الحسّ تتقدمها القوة الغاذية ، فالقوة الغاذية أقدم قوى النفس كلها .

فأما القوة الناطقة وان كانت نفساً فهي أشد تأخراً في الطبع على جهة ما يتأخر الكامل عن الناقص في الطبع .

فلذلك يبدأ أرسطو[5] في الفحص عن النفس الغاذية ، وهذا النوع من النفس له قوتان : إحداهما قوة النموّ والأخرى قوة التوليد . فالقوة الغاذية تتقدم الجميع ، فهي إذن أقدم قوى النفس .

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. I. 3. 406 a 1 .

(٢) والظاهر أن ابن باجة أراد بالأنفس هنا قوى النفس .

(٣) وابن باجة لا يرجح هذا الرأي ويوافق أرسطو في قوله ان الدود مثلاً له حسّ وحركة وأيضاً تخيّل ونزوع . كما يستفاد من قوله « قد يظن » . راجع أرسطو : De An. II. 2 413 b 20 — 32; 414 a 1; 29 ؛ وأيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٧٤ .

(٤) قارن ابن رشد : تلخيص النص ، الأهواني ص ١٣ .

(٥) قارن أرسطو : Aristotle : De Anima, II. 4. 415 a 23 .

< الفصل الثاني >

القول في القوة الغاذية

فنقول : إن الموجود مقابله ما ليس بموجود . وما ليس بموجود منه المحال [1] ، وهو ما لا يمكن وجوده ، و <منه الممكن> . والممكن وجوده صنفان : أحدهما الضروري [2] [3] وهو ما لا يمكن عدمه ، والآخر الموجود المطلق وهو ما هو موجود وقتاً ما ، فبيّن أن الوجود المطلق [4] قد كان معدوماً وقتاً ما . وقد يُظن أنه يلزمه أن يكون معدوماً زماناً ولا نهاية . لكن إن كان ذلك فبالعرض ، وقد تلخص ذلك في الثامنة من السماع الطبيعي [5] . فليترك الأمر على ما تبيّن هناك ان عدم [6] ذلك الأمر أيضاً عدم مطلق . والعدم المطلق

---

(١) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٥٥ الف : « الموجود يقابله لا موجود ، وبينهما ما هو موجود ولا موجود لكن لا في وقت واحد ، وهذه كلها إما بالإطلاق أو عند شيء ما ، فما هو لا موجود أصلاً وهو الممتنع والمحال فبين أمره » .

(٢) المخطوطة : الصنفان .

(٣) يستعمل ابن باجة « ضروري الوجود » ، و « ممكن الوجود » و « ممتنع الوجود » ، انظر السماع ، ورقة ٤٣ ب : « وكل معنى معقول فهو ضرورة إنما ممتنع وجوده أو ضروري وجوده أو ممكن » .

(٤) المخطوطة : المطلق الوجود .

(٥) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٤٦ ألف ، « فكل ما أنزلناه ممكناً زماناً غير متناه لزم من ذلك وجود أشياء غير متناهية معاً ، فإن الممكن والوجود في زمان غير متناه محال » .

(٦) قيل في حد العدم أنه الذي ليس بموجود كذا وكذا ، أي أنه عدم كذا وكذا ، لا عدم بالإطلاق ، إذ ليس هاهنا ما ليس بموجود على الإطلاق . —

يلزم الامكان (١) ضرورة لزوم التكافؤ . وقد تبين لنا بيناه في الأولى من السماع نسبة العدم الى الامكان . فالعدم نسبة الوجود المقابل الى المادة من جهة ما هو وجود مقابل بالذات . وأعني بالمقابل ما يأتلف منه الموجبة والسالبة المتناقضتان ، وهو اذا حمل على موضوع واحد بعينه ، هو ونقيضه ، صار القولان متناقضين واقتسما الصدق والكذب .

فأمّا اذا قلنا في زيد المريض أنه ممكن ان يصح وأن لا يصح ، فليس مقابل « ان يصح » الذي ائتلف منه هذا القول ، موجود عدم الصحة الذي مع الإمكان ، بل عدم الصحة (ورقة ١٤٣ الف) [في الآن الذي] تضمن القول « أنه يصح » فيه كان ذلك الآن محصلاً أو غير محصل . فنسبة الصحة من جهة ما له مثل — مثل هذا المقابل — الى الموضوع هو إمكانها . والقوة على نسبة الصحة الى المادة هي عدم الصحة ، لكن ليس من جهة ما لها مقابل بالقوة . هي نسبة الصورة المقابلة الى الموضوع لكن ليس من جهة ما هي مقابلة ، فلذلك تلازما .

— فانه لا يوجد عدم مطلق كما يوجد وجود مطلق بل عدم مضاف ، إذ كان العدم عدماً لشيء ، راجع تفسير مابعد الطبيعة لابن رشد ، بيروت ج ٢ ص ٨٠١ والتعليق الآتي .

(١) فصّل ابن باجة معنى الإمكان في السماع ، ورقة ٧ الف ، حيث قال : « والممكن لزمه العدم ضرورة . . . . قبل الإمكان هو العدم كما الصورة هي الوجود أم لا . فنقول : إن الممكن من طريق ما هو ممكن فليس الوجود لذاته عدم ، فان الإمكان هو ثاني الموضوع للمعنى عندما عرض لذلك الموضوع العدم ، فان العدم ليس هو بالذات ، لا يوجد عنه الشيء أصلاً ، بل ذاته وماهيته ألا توجد . والإمكان وما هو فوجوده في أن يوجد الشيء ، فالعدم عارض للممكن لا من جهة ما هو ممكن بل الإمكان به من جهة والعدم من جهة مّا . الممكن شيء آخر كأنك قلت غاس أو صورة مضادة فلذلك يكون وجود المعنى في الممكن تماماً لا استحالة . وإنما يكون استحالة الممكن من جهة العدم » . قارن أرسطو : Phys. I. 3. 187 a 4 sq .

والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع ، اثنان (١) بالقول .

ولذلك يلزم ضرورة أن تتقدم القوة على الفعل بالزمان (٢) كما تبين ذلك في الثامنة من السماع . فقد يقال في القمر انه ممكن أن ينكسف وانه بالقوة منكسف لكن باشتراك الاسم ، والقوة في القمر أقرب الى القول بالتواطؤ من قولنا «الممكن» ، فان الممكن في القمر وفي المريض باشتراك ، ولذلك قد يعد الكسوف فيما هو ضروري .

والقوة كما تبين في مواضع كثيرة تتقدم الفعل (٣) ، والفعل ينقسم الى المقولات العشر .

وما بالقوة فلا يصير شيئاً بالفعل حتى يصير لكون تغير ضرورة ، كما تبين ذلك في الثامنة (٤) .

---

(١) المخطوطة : لينال .

(٢) ابن باجّة ، كرّر قوله « إن القوة تتقدم على الفعل بالزمان » في مواضع : ورقة ٤٤ ب : فاذا القوة متقدمة للكمال بالزمان . » ، ورقة ٥٢ الف : « من تقدم القوة للفعل بالزمان » ، ورقة ٩٣ ب : إن قوة كل موجود سابقة لفعله بالزمان . قارن اوسطو Met. B. 6. 1003 a 1. ؛ وهذا كما هو ظاهر يخالف ما قال أرسطو ان ما بالفعل سابق على ما بالقوة زماناً ، راجع Met. O. 8. 1049 b 18. .

(٣) قارن ابن باجّة ، السماع ، ورقة ١٠ ب : « والشيء إذا كان بالقوة جملة فليس هو بالفعل شيئاً مما هو بالقوة ذلك الشيء . وإذا كان بالفعل جملة فليس هو بالقوة أصلاً ذلك الشيء ولا فيه جزء من أجزاء القوة » .

(٤) قارن النص نفسه (ورقة ١٠٠ الف) : كل ما بالقوة فانما يصير بالفعل ، أيضاً ، السماع ورقة ٣٠ الف : فان الفعل لايتحرك وإنما يتحرك ما بالقوة . . . فالمقابلة ضرورة في التغير يحتاج الى ثلاثة أشياء – متقابلان وموضوع – والموضوع هي ما بالقوة وهو قابل التغير » . وقارن أرسطو Phys. VIII. 4. 255 a 34—35; 5. 257 b 7 وابن سينا : الشفاء ورقة ١٩٦ ب ٨ : « وكل ما خرج من القوة الى الفعل فانما يخرج بسبب بالفعل يخرجه » .

والتغير هو في الجوهر والكم والكيف والأين [1] ، فقوى [2] هذه الأربعة هي القوى التي بها يتحرك المتحرك . والقوى التي بها يتحرك المتحرك تسمى القوى المنفعلة والمتغيرة . والقوى على هذه قوى متغيرة .

وأما باقي المقولات حاشى مقولة أن تنفعل [3] فليس كال قواها المنفعلة تغيراً ، لكنه يكون عن تغير ، ولذلك يكون في الآن [4] .

والمقولات الثلاث فلا توجد النسبة في حدودها . فليس يحد الكم بنسبة الجوهر اليه الذي هو موضوع ، وكذلك الكيف . والكم أحرى بذلك حتى ظن انه مفارق . وأما الست فكلها تحد بالنسبة الى الموضوع . لكن الوضع ومقالة له يوجد الجوهر في أقوالها [5] . وأما الأربع الباقية فليست كذلك ،

(١) قارن النص (ورقة ١٤٤ الف) والتغير كما قلنا يكون في الجوهر ؛ ورقة ١٦ الف : وذلك هو التغير في الجوهر ؛ ورقة ٣٢ ب : « لما كان المتغير منه ما يقال بالتقديم ومنه ما يقال بالتأخير ، فالمقول بالتقديم هو مافي الجوهر وفي الكم وفي الكيف والأين على ما تلخص في الثالثة » . ويبين ابن باجة سبب التغير في المقولات الأربع قائلاً (ورقة ١٠ الف) : « لكن الفحص عنه هنا فمن جهة الوجود الذي يقال له تغير ، وأما السبب الأول الذي على طريق الصورة فليس بواحد ولا يوجد له قول واحد فانما يعطى بحدودها وهي المقولات الأربع وهو الجوهر والوجود الأول فيه كون ، والكم والوجود فيه نمو ، وأما النقص فأحرى أن يكون « لا وجود » . وهذه تقابلها أضداد ، فالكون يقابله الفساد ، والنمو يقابله الذبول ، والكيف يقال لضدته استحالة وليس أحد طرفيها أخلق بأن يكون وجوداً من الآخر فليرسما في الوجود ، والحركة في الأين وهي النقلة وهذه أخلق بالوجود من سايرها ، إذ ليس فيها ما يزيل بالذات وجود الموجود » .

(٢) المخطوطة : مقوى .

(٣) المخطوطة : يفعل .

(٤) قارن ابن باجة ، السماع ورقة ٢٩ ب : « وتغيرت النسب وتبدلت نسبة بعد نسبة أخرى ، لكن هذه وان لم تكن تغيراً فهي عن تغير لكن ذلك التغير في شيء آخر ويكون النسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن » . راجع النص ، ورقة ١٥٣ الف : ويكون تغيرها في الآن ؛ وزيلر (Zeller) : Aristotle : Vol. I. p. 433. 9 .

(٥) المخطوطة : أقوالها .

بل قد تكون موضوعاتها غير الجوهر . وكلها يشترك في أن لهـا موضوعات لا توجد تلك النسبة في حدودها .

فأمّا التي توجد النسبة في حد أحد الموضوعين من حيث هما ذانك المتباينان فهي الوضع وله والأين ومتى وان ينفعل . وأما التي لا توجد النسبة في حد واحد منها ، فهذه صنفان : إما أن يكون الموضوعان معاً بالفعل [1] ، فهذه هي مقولة الاضافة ، وإما أن يكون أحدهما بالفعل والآخر بالقوة من جهـة ما هو بالقوة فهذه مقولة «أن ينفعل» .

وأما هل يكون موجودان بالفعل ، موضوعان لنسبةٍ توجد تلك النسبة في حديهما ، وتكون عن الإضافة ، فقد تبيّن كيف ذلك في غير هذا الموضع .

(ورقة ١٤٣ ب) فظاهرٌ الذي يفعل من حيث هو «ما يفعـل» موجود بالفعل «وما ينفعل» موجود بالقوة . فان قولنا «يفعل» يلزم عنه بالذات لا بالعرض أن يكون موجوداً بالفعل مشاراً اليه ، واما «ما ينفعل» فيلزم عنه أن يكون موجوداً بالقوة . و«ما يفعل» يُساوق [2] في الوجود «ما ينفعل» ويلزم عنه وجوده ضرورة .

والمتحرك منه ما هو متحرك حركة سرمدية ، ومنه [3] ما هو متحرك حركة كائنة فاسدة . ومحرّك السرمدية واحد وهو محرك دائماً ، فمحرك السرمدية هو أبداً واحد موجود بالفعل ، وليس محركا تارة وتارة لا . وما يحرك حركة كائنة فاسدة فإمّا أن يكون واحداً فيكون طوراً محركاً وطوراً غير محرك

---

(١) ابن باجّة ، ورقة ٦١ الف : «فان المحرك والمتحرك من المضاف فيجب ضرورة ان يكون في موضوعين تغاير مّا حتى يكونا اثنين» .

(٢) والمصدر «مساوقة» أي مصاحبة . راجع Dozy : Lexique I. p. 704 ؛ وقارن ابن باجة ، ورقة ٢٦ الف : فحركة ح د تساوق أجزاؤهـا أجزاء أ ب وتتناسب تناسبها ... والزمان يساوق الطول بتوسط الحركة عليه ؛ وزيلر : Aristotle, I. p. 302 ft. ؛ وقارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 7 324 a.9 .

(٣) المخطوطة : منه .

كالثقل في الحجر فانه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك ، واما الذي يكون واحداً بعد آخر . وعلى أي الوجهين كان فهذا الجنس من المحرك [١] . فقد يلزم جميعاً أن يكون جميعه - حيناً ما - لا يحرّك ، وأظهر ما يكون [٢] ذلك في الواحد الذي يحرك حيناً ولا يحرك <حينا> كالثقل الذي يمنعه العايق ، وكذلك أنفس الحيوان المعوّق عن الحركة ، والنبات غير المستأنف ، والنار اذا لم تجد ما تحرقه ، والثلج اذا لم يجد ما يبرده ، فهذه كلها تكون لا محركة وتكون ممكنة أن تحرك . وما هو ممكن على ما تبين [٣] فهو بالقوة ، والذى يحرّك عندما لا يحرك بالفعل فهو قوة ، فهذه تخص بالقوى الفاعلة والقوى المحركة . فقد تبيّن ما القوى المحرّكة .

والقوى المتحركة فهي ضرورة في جسم [٤] إذ كان كل متحرك منقسما [٥] [٦] وعليها يقال قوى بالتقديم . فأما القوى المحركة فانما يقال قوى بالتأخير وعلى طريق النسبة .

والقوى المحركة فقد تكون في أجسام إما صوراً أو [٧] اعراضاً وقد لخصت هذه وبيّن كيف وجودها فيما بعد الطبيعة [٨] ، وقد تكون موجودات لا في

---

(١) المخطوطة : التحرك .

(٢) المخطوطة : مالا يكون .

(٣) قارن النص ، ورقة ١٤٣ الف ، والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع .

(٤) راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٣ الف : « ليس يلزم ضرورة أن يكون كل قوة محركة فقوامها بجسم كما يلزم ان كل قوة متحركة فهي في جسم وذلك قد تبين في السادسة من السماع » .

(٥) المخطوطة : منقسم .

(٦) هذا لأن الحركة لا تفعل على ما لا ينقسم ، ابن باجّة ، السماع ، ورقة ٢٥ الف : « فظاهر انه لا يكون حركة على ما لا ينقسم ؛ الحيوان ، ورقة ٩٦ ب : لكن كل متحرك فهو منقسم » .

(٧) المخطوطة : و .

(٨) قارن ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، بيروت ، ص ١٦٣٧ .

أجسام[١] أن يبرهن وجودها . وفي هذا الصنف يعد العقل الفعّال والعقل المستفاد[٢] .

فأما أنفس[٣] الأجرام المستديرة[٤] فليست قوى أصلاً ولا بوجه . فإن قيل لها قوى فبطريق آخر . وبالنسبة الى العقل الفعال القوى المحركة لا من[٥] طريق ما به شابه العقل الفعال لكن بما شابهته في الوجود فتقال قوى بطريق التشبيه بالعرض . وهذا صنف آخر مما يقال بتشكيك لكنه أقرب معاني التشكيك الى المشترك .

والغذاء يقال بالقوة كاللحم للحيوان السبعي ويقال غذاء على الغذاء الأخير[٦] وبمنزلة الدم مثلاً . فإذن[٧] قوة الغذاء قوة يصير بها الجسم متحركاً فقوته منفعلة .

---

(١) راجع ابن باجة ورقة ١٣٨ الف : « فان وجودنا أن نعقل كوجودنا أن نبصر بالنفس ، وهذان ليسا استحالتين فلا وجودنا أن نعقل استحالة . . . . . فانما يعقل الإنسان إذا سلبت جميع حركاته حتى ان بعضهم اذا استغرقوا في الفكرة بطلت حواسهم وصاروا في حال النيام ، واذا كان ذلك ، فعند ذلك يوجد العقل ، وقد تبين في غير هذا المكان ان العقل يوجد لا في زمان فليس فيه حركة ، وانما يحتاج الزمان الى وجوده .

(٢) وذكر ابن باجة ان الصور الروحانية أصناف : أولها صور الأجسام المستديرة ، والصنف الثاني العقل الفعال ، والعقل المستفاد ، والثالث المعقولات الهيولانية ، والرابع المعاني الموجودة في قوى النفس ، وهي الموجودة في الحس المشترك وفي قوى التخيل وفي قوة الذكر ، تدبير المتوحد ص ١٩ .

(٣) المخطوطة : نفس .

(٤) قارن السماع ورقة ٥٤ ب : فالمتحرك من تلقائه لما هو متحرك من تلقائه مؤلف من هذين ولذلك يقال في الجسم المستدير تارة ان حركته عن الطبيعة وتارة ان حركته عن النفس ؛ ورقة ١٢١ الف : ولكل جرم سماوي عقل ونفس ؛ ورقة ٩٥ ب : فلذلك لزم ضرورة على مالخص في غير هذا الموضع أن يكون محرك المستدير عقلاً ؛ وانظر زيلر Zeller : Aristotle. I. p. 477 ft note .

(٥) المخطوطة : لامن .

(٦) أراد « بالغذاء الأخير » الغذاء بالفعل الذي هو الغذاء القريب الذي يستحيل الى جوهر المتغذي ، والغذاء يقال بالقوة قبل أن يستحيل الى جوهر المتغذي ، راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٠ ، حيدر آباد : ص ١٢ ، والنص نفسه ، ورقة ١٤٤ الف .

(٧) المخطوطة : فاذا .

وكل متغير فله مغير، (ورقة ١٤٤ الف) [فالغذاء] الذي بالقوة وهو الغذاء البعيد فضرورة له محرك هو [الذي] يصيّره غذاء بالفعل وفعله هو التغذية، والمحرك هو الغاذي والجسم الذي له مثل هذه القوة هو المتغذي . واشكال الألفاظ مقابلة لما تدل عليه لأنّ الغذاء هو المنفعل، وكمال المحرك (١) أن يحرك وشكل (٢) لفظه شكل لفظة التحريك . فأمّا لِمَ كان ذلك فنلخصه في غير هذا الموضع (٣) .

والمتغذي فهو إما نبات وإما حيوان، ففي هذين قوة محركة (٤)، ففي الجسم المتغذي قوة محركة . وكل قوة محركة فهي ضرورة كمال ما . ففيه إذن معنى موجود بالفعل به يحرك الغذاء .

ولما كان الغذاء لا يكون إلا بآلاتٍ على ما تبين بالتصفح فالقوة (٥) الغاذية نفس . وقد يتشكك في الكم هل قوته نفس أم لا . فإن كانت نفساً لم يكن كل نفس فهي تحرك بآلة، فإن الكم متشابه الأجزاء في الحس، وانه (٦) لم يكن نمو (٧) (٨) الكمّ تراكماً على ما هو نحو الحجر . وكذلك يتشكك في اسفنج البحر (٩) هل هو حيوان أم نبات . وبالجملة فانا نجد الطبيعة لم تنتقل

(١) المخطوطة : وكماله .
(٢) وابن باجة له ميلان طبيعي الى الاشكال ويريد تفصيل معاني الألفاظ باشكالها أحياناً، فقال مثلاً في تشريح معنى « روحاني » : وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب .
(٣) راجع النص نفسه ورقة ١٤٤ ب .
(٤) قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 11 .
(٥) المخطوطة : بالقوة .
(٦) المخطوطة : وان .
(٧) الكم ليس له نمو فلا نفس له : قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 23—25 .
(٨) المخطوطة : نمواً .
(٩) ابن باجة، النبات، ورقة ١١٣ ب : « ان النبات هو متغذ وله نفس غاذية » ولذلك يشك في أشياء توجد وسطاً بين النبات وبين الحجر، وكذلك يوجد جسم بين النبات والحيوان يأخذ من كل واحد بقسط كاسفنج البحر » .
قارن أرسطو : Arist. : Hist. An. I. 1. 487 b 9; VIII. 1. 588 b 20 .

من وجود جنس الى جنس أكمل حتى صنعت متوسطاً[1] ، لكن الفحص عن هذا في غير هذا الموضع .

والتغير[2] كما قلنا[3] يكون في الجوهر ، ويكون في باقي المقولات . والاغتذاء لا يكون إلا بتحريك في الجوهر . وذلك بين عندما تتصفح الأغذية . فان الدم واللبن غير اللحم وغير الماء المختلط بالأرض الذي هو غذاء النبات ، وقد تبين كيف تكون هذه في كتاب الحيوان وكتاب النبات[4] .

فالغذاء يتحرك حركة كون وفساد ، والغذاء يتكون والغاذي يكوّن . فالقوة الغاذية إذن هي التي من شأنها أن تحرك في الجوهر فقد وجدنا الجنس[5] الذي تترتب فيه النفس الغاذية . وهذه القوة فاعلة وكل فاعل فهو موجود بالفعل ، وكل موجود ليس < له > فعل غيره فله كمالان[6] : كمال أول

---

(١) ابن باجة يظن أن الانسان جنس آخر غير الحيوان فبينهما وسط وهو القرد : ورقة ١١٣ ب : « والوسط بين الأجسام الطبيعية والأجسام المتنفسة هو المتوسط بينها وبين النبات ، فإنه لا وسط بين الاجسام المعدنية وبين الحيوان ، لأن الوسط إنما هو أبدا فيما بين الأبعد والأقرب ، ولذلك يوجد بين المتنفس المدرك وهو الحيوان غير الناطق ، والمتنفس الذي لا يدرك وهو النبات وسط ومن هنا فقد يجب أن تظن أن الإنسان جنس آخر غير الحيوان لأن بينه وبين الحيوان غير المدرك وسطاً وهو القرد » .

(٢) المخطوطة : التغيير .

(٣) واجع ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدر آباد ، ص ٧١ . وأيضاً التعليق ٩ الفصل الثاني .

(٤) ابن باجة ، ورقة ١٠١ الف : وقد تبين أن الغذاء القريب هو الدم ، وتبين بياناً أتم في أقاويل تكون الجنين : النبات ، ورقة ١١٣ ب : ان كل نبات فهو متغذ وكل متغذ فهو على ما كتبناه في كتاب النفس يستعمل حرارة طبيعية وبها تغير الغذاء ، وغذاء النبات فبيّن بنفسه » .
قارن أرسطو : De Gen. An. I. 20. 728 a 20; 726 b 1 .

(٥) يعني القوة المحركة فانها تفعل على الجوهر (أي الغذاء) .

(٦) ابن باجة ، ورقة ٩٢ الف : ولما كان الكمال صنفين : الحركة والفعل ، والحركة التي هي التكوّن هي الكمال الأول » ، السماع ، ورقة ٩ الف : ومتى وجد الشيء كان على كماله الأخير ومتى لم يوجد كان ناقصاً .

وهو وجود هذه قوةً ، وأخير وهو وجوده محركاً . فالنفس (١) الغاذية كمال المغتذي الأول . فأما أيّ تكون (٢) تكوّن هذه (٣) ؟ وهذا هو الحد الذي يقال له مبدأ البرهان فيبين ما أقوله :

لما كان الغذاء إمّا بالقوة وإما بالفعل (٤) ، وما بالقوة فمنه بعيد كالاسطقسات (٥) ، ومنه قريب كاللحم والنبات للحيوان ، فان الغذاء القريب للنبات لا اسم له . والبعيد هو ما كان المحرك فيه ليس القوة الغاذية ، والقريب ما تحركه القوة (ورقة ١٤٤ ب) الغاذية . وهذا أيضاً مراتب : منه الغذاء الحاصل في مغتذ[ى] الحيوان ، ومنه الرطوبة الموجودة في أصول النبات ، ومنه أقرب من هذا كالدم (٦) الحاصل في العروق واللبن في النبات حتى اللبن . ومنه الكمال الأخير كالدم الذي صار لحماً ، واللبن الذي صار عصباً فناله عصب .

وكل ما هو مقابل <لما> بالقوة فهو مقابل لما بالفعل . فنقول (٧) : من

---

(١) المخطوطة : فبالنفس .
(٢) المخطوطة : تكوين .
(٣) راجع ابن باجّة ، الكون ، ورقة ٨٦ الف : فاما أن يكون التكون عند الاستحالة فذلك بيّن ، ورقة ٨١ الف : ان كل تكون فهو إما بسيط وإما مركب ، أعني بالتكون البسيط التغير الى الموجود البسيط ، وأعني بالتكون المركب الحركة الى الموجود المركب » .
(٤) راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٣ ب : والغذاء يقال بالقوة .
(٥) قال ابن رشد : والقوة البعيدة في الغذاء ، المحرك لها ضرورة غير النفس الغاذية . راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٥ ، حيدر آباد ص ١٢ .
(٦) ابن باجّة ورقة ١٠١ الف : « الغذاء القريب هو الدم » .
(٧) ذكر أرسطو أن فريقاً قال : ان الشيء يغتذي من شبهه وينمى ، وذهب آخرون الى أن الشيء يغتذي من غير شبهه . وهذا بناءً على أن الغذاء على نوعين : أحدهما بالفعل والآخر بالقوة ، فالغذاء الذي بالفعل استحال وتشبه بالمغتذي ، والذي بالقوة فهو الذي لم يتغير ولم يتشبه بالمغتذي ، فلكل من الفريقين حجة . وكتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يصرح (تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، الأهواني ، ص ١٤٤) « والطعام الذي لم ينضج هو الغذاء الذي لا يشبه المغتذي .... والغذاء يتحرك وينتقل من شيء الى شيء الى أن يتشبه بالمغتذي فيغذوه .... وكلا القولين يصدقان بنوع ونوع » ، ولهذا قال ابن باجة انه لا تناقض بين القولين ، قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 5 sq ؛ ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٩ .

يرى أن الغذاء من الغاذ‌ٍ غير مناقض لقول من قال ان كل غذاء فهو من الشبيه . لأن الأول يصدر عن الغذاء بالقوة ، والثاني عن الغذاء بالفعل . والغذاء يقال عليها [١] باشتراك ، فقد يسقط بهذا التشكيك اللاحق الغذاء .

فأما أيّ نوع من أنواع التكوّن يتكوّن به الغذاء ، وكيف يكون فقد يظهر بما [٢] نقوله :

فنقول : ان كل موجود كائن فاسد فله فعل يخصه ومن أجله كان حسب ما بيّن في غير هذا الموضع . وبذلك صار جزءاً من أجزاء العالم ، فإن الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلا .

ولما كان كل تكوّن فله مكوّن ، والمكوّن إما أن يكون من نوع الكائن أو من جنسه [٣] . والمتكوّن إما صناعيّ – فيكون المكوّن له الصناعة وهي بجهة مخالفة للمصنوع غير انها في موادّ مختلفة – وإمّا أن يكون طبيعيا [٤] ، والمتكوّن [٥] الطبيعي فمكوّنه طبيعي . وبالجملة فالمتحرك قد يكون من نوع المحرك وقد لا يكون ، فان النار تكون عن النار والحار يكون عن الحار ، فأما الصلب فانما يكون عن البارد أو عن الحار .

فقوى الأجسام منها محركة ومنها ما ليس كذلك [٦] .

والقوة المحركة فانها تفعل بالذات وأوّلاً ما هو من نوعها وتفعل ثانياً وبالعرض شيئاً آخر ، وذلك بحسب المواد التي تفعل فيها . وكل قوة محركة ففيها مع انها موجودة للوجود الذي يخصها معنى به تفعل مثلها [٧] . فأما الاسطقسات

---

(١) المخطوطة : عليها .
(٢) المخطوطة : ما .
(٣) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدر آباد ، ص ٥٥ .
(٤) المخطوطة : طبيعية .
(٥) المخطوطة : المكون .
(٦) راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٣ ب .
(٧) قارن أرسطو : De An. II, 4. 419 b 14—15 .

فان هذه القوة ظاهرة في النار منها ، ثم في الهواء وأخفى ما هي في الماء والأرض . غير أن مثل هذه انما تفعل صوراً طبيعية لأجسام متشابهة الأجزاء . إلا أنها قد تكون النار عن شيء آخر مثل أن تكون عن قدح الزناد .

فأما الأجسام المتنفسة ففي كلها قوة مكونة . وهي ـ في الجملة ـ التي تكوّن من الغذاء بالقوة جسماً شبيهاً بما هي فيه (١) ، فيكون ضرورة ذلك الجسم المتنفس في وجودها الذي يخصها معنى به تحرّك الى الوجود الذي يخصها . وهذه منها رئيسة في ذلك الجسد ، وهي التي (١٤٥ الف) [في جزء منها] هو مبدأ لذلك الجسم كالقلب في الحيوان (٢) . ومنها خادمة جزئية وهي في عضو عضو . فان صورة العظم فيه قوة تحمل الغذاء الذي هو عظم بالقوة فتصير عظماً بالفعل وكذلك في اللحم وكذلك في سايرها . والذي في المبدأ يصير من الغذاء الذي هو ذلك الموجود وقد لخص ذلك في غير هذا الموضع (٣) .

وبين ان الجسم الذي له مثل هذه الصورة مركب من الاسطقسات وانه (٤) مركب من الأرض والماء . وان المركب كما تبين (٥) انما يمتزج أولاً بأن

(١) هذه الجملة تبين معنى الجملة في ورقة ١٤٤ ب : « وكل قوة محركة ففيها مع انها موجودة الوجود الذي يخصها » . لعله أراد ان القوة المحركة هي القوة المولدة التي تفعل الغذاء وتغيره فتكوّن منه جسماً شبيهاً لجسمه ، فيكون ضرورة ذلك الجسم في وجوده معنى به يحركه الى الوجود . قارن ارسطو : De An. II. 416 b 24 ; b 11–14 .

(٢) ابن باجة ، ورقة ٩٦ الف : « فالعضو الذي فيه القوة الغاذية فهناك سائر القوى وبه تكون حياة الحيوان ، وهذا هو في الانسان القلب ، وكذلك في كل حيوان ذي دم ، وفي كل حيوان قلب أو ما يناسب القلب في الحيوان الذي له ما يناسب الدم » ، ورقة ٩٦ ب : فالنفس ضرورة في الحيوان في القلب أو فيما يناسبه فالقلب هو مبدأ الحيوان ، وساير الأعضاء إما حافظ له أو متحرك عنه فكل ما في الجسد هو تابع للقلب أو ما يناسبه .

(٣) لعله أراد العبارة التي نقلناها آنفاً تحت التعليق السابق ، الفصل الثاني . (ورقة ٩٦ ب) .

(٤) المخطوطة : وله .

(٥) راجع ما قال في أول هذا الكتاب (ورقة ١٣٩ الف) : فمتى كان الموجود . . . أن يختلط به غير واحد . قارن أرسطو De Gen. et Cor. II. 8. 334 b 31 .

يتحرك أجزاؤه في المكان فيدنو[١][٢] بعضها من بعض ، ثم بعد ذلك ان يستحيل كل واحد منها على الوجه الذي تبيّن في الأولى من كتاب الكون والفساد . وذلك لا يمكن بالبرودة وإنما يكون بالحرارة . وهذه الحرارة هي آلة النفس وهي التي تدعى[٣] الحرارة الغريزية النفسانية ، وقد لخص القول فيها في السابعة عشر من كتاب الحيوان[٤] .

فالحار الغريزي هو آلة هذه النفس . فالنفس الغاذية تحرّك أوّلاً الحار الغريزي وهو المتحرك من تلقائه ، وتحرك بالحار الغريزي الغذاء . فان ما لا يتحرك لا يمكن أن يحرك ما ليس هو فيه الا ان يحرك أولاً بجسم هو فيه حسب ما تبين في الثامنة من السماع[٥] .

وهذه القوة تحرك مثل هذه الحركة وتصيّر ما هو بالقوة المعنى الذي هو فيه الى أن يكون مثله بالفعل .

---

(١) ابن باجة ورقة ٨١ ب : وكذلك الاسطقسات يماس كل واحد منها في مواضعها الطبيعية . . . . وقد تدنو هذه بعضها من بعض على أحوال مختلفة . راجع أرسطو : De Gen. et Cor. I. cc 6—10 .

(٢) المخطوطة : فتنوا .   (٣) المخطوطة : تدعا .

(٤) الحيوان ، ورقة ١٠٩ ب : « فان الاسطقسين متى تقاربت قواهما لم يختلطا بل كان كل واحد منهما يقدر على التخلص من صاحبه فلذلك يحتاج الى مبدأ آخر يؤلف بينهما ويحركهما حتى يصيرا شيئاً واحداً وتصير قوتهما قوة واحدة مركبة ، وهذا لا يكون بالقوة المحركة التي هي برد فان البرد يجمدها ويحمل لكل واحد منهما نهاية تخصه ، فلا يختلطان ، وأما الحرارة فمن شأنها أن يخلط أولاً ثم يفرق بين المجانسة ثانياً وثالثاً » . وأرسطو : De An. II. 4. 416 b 29 ، وأيضاً : 416 a 9 . وأيضاً ابن سينا ، الشفاء ورقة ١٦٣ الف ٢٠ ، ثم ان آلة هذه القوة (الغاذية) الأولية هي الحار الغريزي ، فان الحار هو المستعد لتحريك المواد ويتبعها البرد لتسكينها عند الكمالات من الخلق مختومة عليها » ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٨ ، حيدر آباد ، ص ١٥ .

(٥) راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٨ ب : « وكل محرك ليس بمتحرك بذاته فانما يحرك جسماً على أحد وجهين : اما وهو فيه — ويكون ذلك الجسم المتحرك الأول من تلقائه ، أو يحرك جسماً ليس هو فيه ، فيحركه بتحريكه الجسم الذي هو فيه آلة لتحريك غيره » . وأيضاً السماع ، ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الغريزي ففيه المحرك الذي لا يتحرك ، وهذا يحرك الحيوان وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه » .

ولما كان كل ما فيه رطوبة هو سريع الانفعال والتحلّل كان جسد كل متنفس كذلك[(١)] . فلذلك ان كان مزمعاً ان يبقى ذلك الجسم فيجب أن يكون له مثل هذه القوة ، لأنه ان لم يخلف عوض ما تحلل تلف ذلك الجسد[(٢)] .

ولمّا كان كل جسم طبيعي له نوع من العظم مخصوص وبه يكمل وجوده كما يظهر ذلك في كثير من النبات وفي الحيوان وذلك المقدار لم يعط من أول تكونه إذ لم يكن كانت له قوة يتحرك بها الى ذلك النحو من العظم . وهذه هي النفس المنمية[(٣)] . فلذلك تكوّن الغاذية من الغذاء أكثر من عوض ما يتحلل حتى يصير في العضو عوضاً مما تحلّل وزيادة[(٤)] ، فيتحرك ذلك الجسد ويصير فيه نوع من أنواع العظم لم يكن له .

وهـذه الحركة ليس يظهر لها اسم يعمّها و < يعمّ > اسم حركة النمو واسم حركة النشوء ، ومقابليها حركة البلى[(٥)] وحركة الذبول ، وقد خصت هذه

---

(١) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 10. 328 b 4 .

(٢) قارن ارسطو : De An. II. 4. 416 b 19—20 ؛ أيضاً ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب ٩ : فالقوة الغاذية تورد البدل أي بدل ما يتحلل ويشبه ويلصق ، وانه وان كان الغذاء أكثر منافعه انه يقوم بدل ما يتحلل فانه ليست الحاجة الى الغذاء لذلك فقط بل تحتاج اليه الطبيعة في أول الأمر للتربية وان كان بعد ذلك انما يحتاج الى وصفه موضع التحلل فقط .

(٣) قارن ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب : والنامية تفعل في أول كون الحيوان فعلاً ليس هو التغذية فقط ، وذلك لأن غاية التغذية ما حددناه ، وأما هذه القوة فانها توزع الغذاء على خلاف مقتضى القوة الغاذية وذلك لأن الذي للقوة الغاذية لذاتها أن يؤتى كل عضو من الغذاء بقدر عظمه وصغره وتلصق به من الغذاء بمقداره الذي له على السواء ، وأما القوة النامية فانها تسلب جانباً من البدن من الغذاء ما يحتاج اليه الزيادة من جهة أخرى فيلصقه بتلك الجهة ليزيد تلك الجهة فوق زيادة جهة أخرى مستخدمة الغاذية في جميع ذلك ، ولو كان الأمر الى الغاذية لسوت بينها أو لفضلت الجهة التي تقصتها النامية .

(٤) قارن أرسطو : De Gen. et Corrup. I. 5. 322 a 16—33 .

(٥) المخطوطة : البلا .

الحركة في الاولى من كتاب الكون والفساد(١) .

فهذه قوة أخرى وهي في الغاذية كالصورة والأولى لها كالمادة ، إذ لا يمكن أن تكون (ورقة ١٤٥ ب) المنمية دون الغاذية(٢) ولذلك اذا بلغ الجسد تمامه الطبيعي صنعت الغاذية غذاء أقل ، وذلك بمقدار ما يفي بما يتحلل منه ، هذا فيما له هذان النوعان من أنواع النفس .

ولما كان كل جسم متغذ إما أن يكون متناسلاً أو غير متناسل ، فالمتناسل هو الذي لصورته قوة تحرك ما هو لذلك النوع جملةً بالقوة فتصيّره ذلك النوع بالفعل .

والفرق بين هذه وبين الغاذية ان الغاذية تصنع ما هو بالقوة جزءاً جزءاً فتصيّر بالفعل تلك الأجزاء أجزاءها وهذه تصنع ما هو بالقوة ذلك النوع جسما من ذلك النوع ولا تستعمل فيه أجزاءها ، وقد قيل كيف ذلك في السادسة عشر من الحيوان(٣) .

ونسبة هذا المكون في الجسم المتكوّن كنسبة الصناعة الى الكرسي ، فإن المكوّن على ما بين في ذلك الكتاب يكون في غير مادة المتكون كما يعرض ذلك في الصناعة .

---

(١) قارن ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨١ الف : ولما كان الاختلاط قد يظن به انه نمو ولا اختلاط يظن انه اضمحلال لزمه ان يفحص أيضاً عن هذه الحركة ويميزها بما يخصها ، أيضاً أرسطو : De Gen. et Cor., I. c 10 .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 23 .

(٣) قارن أرسطو : De Gen et Cor. I. cc 17—20 ، خصوصاً ، De Gen. An. II. 1. 735 a 16 – 19 ; De An. II. 4. 415 a 29; I. 19. 726 b 1 – 20 وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٦ ، حيدرآباد ، ص ١٤ . ولخص ابن سينا بيان أفعال القوة الغاذية فقال : الشفاء ورقة ١٦٣ الف : وبالجملة فان القوة الغاذية مقصودة ليحفظ بها جوهر الشخص ، والقوة النامية مقصودة ليتم بها جوهر الشخص ، والقوة المولّدة مقصودة ليستبقى بها النوع .

وهذه القوة ليست في جسم بل هي عقل بالفعـل [1] على ما تبين هنالك .

(١) وقال ابن باجّة ويشير الى « ما بعد الطبيعة » لأرسطو : ورقة ٩٨ ب : قد تبين في (يو) من الحيوان ان القوة المصورة في المني قوة عقلية لأن فيها النوع مجرداً ولم يبين كيف ذلك .... انه بين ان الذي في المني هو قوة نوع الشخص المولد فقط فكيف ليت شعري تقبله ، وأيضاً فما هذا النوع وأي وجود وجوده فان النوع متى صار عقلاً بالفعل وذلك عند وجوده في القوة الناطقـة لم يمكن أن نعقل في موضوعاته لأنه غير مقترن بآلته » . وقال أيضاً : ورقة ١٠٧ ب : « بل الأمر على ما يقوله أرسطو انه مشارك بوجه ما للأجرام السماوية فانه يشبهها من جهة ان القوة التي فيه عقل بالفعل » . وقد صرّح أكثر من هذا في رسالته التي كتبها بعد رسالة الوداع ، ورقة ٢٢٠ ب : « ولذلك بقي بزورها (النفس المولدة) وبالجملة فاعلهـا أعني الحار النفساني سواء كان في بزر أو في الهواء أو الماء مبثوثاً النوع وفيه ما فيه نوع نفس النبات معقولاً وجوهر هذا الفاعل عقل إلهي كما يقوله أرسطو في السادسة عشر من كتاب الحيوان ، ولذلك لا يحتاج الى محرك آخر » . ولكن أرسطو لم يصرح قط بأن الفاعل « عقل إلهي » وهذه ألفـاظه : (De Gen. An. I. 19. 726 b 15—24) :
« . . . and what each of them is actually such as the semen potentially, either in virtue of its own mass or because it has a *certain power* in itself.»
ولعل ابن باجة وافق ابن سينا الذي يقول : « اذا خرج نفسنا من القوة الى الفعل في معقول واحد فصار له ذلك بالفعل ، فقد اتحد به العقل الفعال كما هو ، أو اتحد به شيء منه ، أو انما يمثل فيه أثر منه ، فان كان اتحد به العقل الفعال كما هو ، فقد صار عقلاً بالفعل في جميع المعقولات ، راجع عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ، ص ٩٢ . تعليقات ابن سينا على كتاب النفس لأرسطو . ومأخذ ابن باجّة وابن سينا أيضاً ، هي كتب الفارابي فانه يقول : ان الفاعل الذي يخرج المعقولات من القوة الى الفعل شيء جوهره عقل بالفعل ومجرد عن المادة (انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ، ديتريصي ص ٤٤) . وأشار اليه ابن باجة في رسالة الاتصال (مع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٠٧) بقوله : فالعقل بالفعل هو المحرك الأول في الإنسان بالإطـلاق ، وظاهر أن العقل بالفعل قوة فاعلة ... والقوة الناطقة تقال أولاً على الصور الروحانية من جهة انها تقبل العقل ، وتقال على العقل بالفعل ، وإياها يعني أبو نصر في تشككه بقوله : « هل هي موجودة في الطفل وغيرتها الرطوبة أو تحدث بأخرة ؟ » . وقول ابن باجّة يؤيده ما قال ابن الإمام في الحاشية : « يعني أن القوة التي تفعل الصورة الحاصلة في النوع ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالفعل مفارق . » ؛ قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ٧ ، حيدر آباد ص ٥ ؛ وكتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٦٨ . ترجمته الفارسية ، بودليانا ، ورقة ٥٠ ب ١٥ .

والقوة الغاذية هي قوة في جسم لأنها هيولانية . فلذلك إذا فعلت هذه القوة في المادة الملائمة لها وكوّنتها أن تصير فيها ذلك النوع بعينه ، كانت تلك الصورة محركة هذا النحو من التحريك [١] فتبين أن فعل هذه القوة المكونة ليس بقوة غاذية ، بل هي شيء آخر [٢] .

وهذه القوة التي قلنا انها مكوّنة للنوع تبيّن انها ليست تكوّن بأن تصيّر آخر مثله [٣] لا على جهة ما يقال في الموضوع انه مثل الصناعة [٤] . وهذه القوة أبداً انما توجد مقترنة بجسم ما لتحرك ما لها أن تحرك وهو المتحرك بالقوة على ما تبيّن قبل .

وهذا الجسم الذي مثل هذا صورته قد وجد في الهواء وفي الماء . فيكون تكوّن أمثال هذه عن محرّكات أخر ، وذلك مثل العفونة في الحيوان الذي [٥] يتكوّن عنها [٦] . فهذه أجسام غير متناسلة ولكنها لم يعط أكثر من وجودها

---

(١) ابن باجة فرق مرة أخرى بين أفعال الغاذية وأفعال المولدة قائلاً بأن الغاذية اذا فعلت في المادة الملائمة لها وكونتها أن تصير فيها ذلك النوع كانت تلك الصورة محركة ، وهذا يوافق ما قال أرسطو ان الغاذية تحفظ الأفراد والمولدة تحفظ النوع ، انظر De. An. II. 415 a 29 .

(٢) قارن ابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٦٣ الف : « فالغاذية تورد بدل ما يتحلل من الشخص ، والمولدة تورد بدل ما يتحلل من النوع » .

(٣) في المخطوطة تخريجة بحاشية الكتاب : « يعني أن القوة التي تفعل الصورة الخاصة في النوع (المخطوط : النور) ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالفعل مفارق ، رجع » .

(٤) يريد على غير منوال الصناعة التي تكوّن الصورة في الخشب ، ان القوة المكونة للنوع ليست تكوّن بأن تصير آخر مثله فقط بل هي توجد أبداً مقترنة بجسم ما .

(٥) المخطوطة : التي .

(٦) أرسطو وان لم ينكر التولد الاختياري (Spontaneous generation) ولكنه انتقد على من قال ان بعض الحيوان يتولد عن العفونة قائلاً :
« Nothing comes into deing by putrifyng, but by concocting; putrefaction and the thing putrefied is only a residue of that which is concocted (cf. De Gen. An. III. 11. 762 a 14 and 15.) » .
ولكن كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يذكر هذا بلفظ يدل على أن ارسطو —

فقط . واحتاج نوعها في استمرار وجوده الى نوع آخر . وأنواع الأجسام المتنفسة المتناسلة هي التي أعطيت مع وجودها قوة تعطيها اتصال وجودها . فان التالي[1] بحال الاتصال ، وهو بوجه ما اتصل وجود[2] . وهو أنقص مراتب الوجود الضروري[3] .

فأما الأنواع غير المتناسلة فاتصالها[4] هو انتظام أدوار وجودها ، وهو أخس مراتب الوجود الضروري . فالمتناسل هو وسط بين أشرف مراتب الوجود وهو الوجود[5] الضروري الاطلاق ، وبين أخس مراتب الوجود وهو الذي معنى الضروري فيه[6] الانتظام .

ولما لم يكن في (ورقة ١٤٦ الف) [الأجسام الهيولانية الوجود الضروري أعطيت التناسل عوضاً منه .

والتناسل يكون بأن تكون فيه قوة يحرك بها الغذاء حتى يصير منه جسم له مثل هذه القوة أعني قوة التكوين ، وقد قيل[7] كيف حال هذا الجسم .

— « اعتقد ان الزنابير والدود وكل دابة تتولد من العفن لا وم لها » انظر تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٧ . وأما ابن باجة وابن رشد فهما يقولان به ، تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٧ ، س ١٨ ؛ ص ١٧٤ ، س ١ . وكأنهما أخذا عما قال أرسطو ، راجع Meteorology. IV. 1. 379 b 6 ؛ أيضاً b 5 ٣٨٩ .

(١) أرسطو عرّف التالي فقال :

« That which is after the beginning (the order being determined by position or form on in some other way) and has nothing of the same class between it and that which it succeeds (Met. 1068 b 30) » .

(٢) ابن باجة يذكر « اتصال الوجود » فيما بعد ، راجع النص ورقة ١٤٨ الف .

(٣) المخطوطة : الضروري الوجود .

(٤) المخطوطة : واتصالها .

(٥) المخطوطة : الموجود .

(٦) المخطوطة : فيها .

(٧) النص نفسه ورقة ١٤٥ ب .

وهذا يسمى البزر فيما له بزر ، وقد فحص عنه في كتاب الحيوان (١) .

فهذه القوة هي كالصورة لتلك ، وكأنها طرف (٢) حركة المنمية ، فلذلك انما تفعل هذه اذا قارنت تلك لكمال تحريكها . وتكون الغاذية كالمادة لهذه ، < و > المنمية كالتوطئة ، وهذه كالغاية (٣) ، ولسنا نجد للغاذية قوة أكمل من هذه .

ويبين أن الغاذية تصنع دائماً في أمثال هذه الأجسام غذاء أكثر مما يدعو (٤) اليه حفظ الجسد الذي هي فيه . وان تلك الزيادة (٥) تنصرف أولاً الى النمو فاذا كمل كان منها البزر . والبزر هو فضلة الغذاء الأخير . ولذلك لا تعدم قوة التوليد إلا عند الهرم (٦) . فتكون الغاذية إنما تقتصر منها على حفظ الجسد فقط ، وعند ذلك تنفرد الغاذية عن هذه وتوجد وحدها فقط .

فقد تبين ما النفس الغاذية ، ولِمَ هي ، وأيّ الآلات آلتها ، وهذه وقواها في موضوع واحد ، سواء كان جزءاً واحداً ، أو كان متشابهاً فيها ـ على ما نجده في كثير من النبات وفي حيوانات ما .

---

(١) ابن باجة ، ورقة ١٠٨ ب : وهي التي هي موضوعة لتفعل منها البزر وهي الطمث ويسميه أرسطو بزراً . قارن أرسطو De Gen. An. I. 16. 721 b 5 .

(٢) ابن رشد استعمل « تمام » موضع « طرف » ، تلخيص ، الأهواني ص ١٩ .

(٣) المخطوطة : كالغاذية .

(٤) المخطوطة : يدعوا .

(٥) ابن رشد استعمل « الفضلة » موضع « الزيادة » ، تلخيص ، الأهواني ص ١٩ .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٢٠ ب : بل النفس المنمية توجد في أول العمر وتعدم بعد ذلك ، والنفس المولدة لا توجد في أول عمر الجسم الحي ، ثم توجد بعد ذلك ولا تعدم الا بعرض وقد شوهد شيوخ تنسلوا بعد الثمانين » .

< الفصل الثالث >

القول في القوى الحسّاسة

كل جسم فإنه على ما تبين [1] في غير هذا الموضع مؤلف من صورة ومادة ، وكلاهما غير جسم [2] ، والجسم هو موجود بهما [3] . وليس المادة من جهة ما هي مادة ذات صورة بالذات [4] ، لكنها قابلة للصورة . وليست الصورة في الجسم مفارقة توجد بالفعل عن المادة ، ولا أيضاً المادة فيه مفارقة بالفعل عن الصورة [5] . لكن كل واحد منهما في الجسم المؤتلف منهما مفارق عن الآخر بالقوة ، وهذا بيّن في الأجسام الكاينة الفاسدة .

---

(١) راجع النص ، الصفحة الأولى .

(٢) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ٨ الف : « وكل واحـــد منهما (أي المادة والصورة) طبيعة لكن الأخلق ... أن تكون الصورة طبيعة من المادة .

(٣) ابن باجة ورقة ٨ الف : « ووجوده (اي الجسم الطبيعي) يتم بوجودِ المادة والصورة » ؛ ٨ ب : فالصورة والمادة سببان لكل جسم طبيعي .

(٤) ابن باجّة ورقة ٧ الف : « فانا متى وضعنا المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة الى مادة وصورة ويمرّ ذلك الى غير نهاية . فتكون في هذا الانجار مواد لا نهاية لها ، وهذا أيضاً شنيع بل محال . فستنتهي ضرورة الى مادة غير ذات صورة » . ايضاً زيلر (Zeller) : Aristotle. I. p. 347 .

(٥) ابن باجة : ورقة ٧ الف : « وظاهر انها (= المادة) لا تفارق الصورة وذلك انها ان فارقت الصور لم تكن موجودة أصلاً . فإن كانت موجودة لزم أن يكون شيئاً ما . وعاد الأمر الى أن تكون ذات مادة وليست أولى » . راجع زيلر : Aristotle I. 349 .

وامّا الاجرام المستديرة ، فان الجسم والمادة والصورة يقال عليها وعلى الاجرام الكائنة والفاسدة بالاشتراك [1] ، وقد لخص أمرها في غير هذا الموضع .
ومادة ما آلية [2] قد تنحاز عن صورة وذلك يظهر عند الفساد [3] ، وقد لخّص ذلك في الأولى من السماع ، فبيّن من هذا أن المشار اليه غير متميز [4] ولا متغاير [5] بالفعل بوجه من وجوه التغاير . وانما يتغاير عند تحرك المشار اليه في كونه وفساده .

والمادة ليست توجد منفردة عن الصورة اصلا ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة اخرى [6] ، ويظهر فيها عدم الصورة فقد يجب ضرورة من هذا أن تكون الصورة منحازة بنفسها أيضاً عن (ورقة ١٤٦ ب) تلك إما مقترنة بمادة أخرى أو منفردة بنفسها ، والاّ لم يمكن أن يكون أحدهما غير الآخر بوجه ، وكان التغاير أمراً باطلاً ، ولزم من ذلك محالات أخر : منها أن يبطل الكون والفساد ، وبالجملة الحركة [7] ، ويبطل وجود المحرك الذي من نوع المتحرك .

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ص ٧١ .

(٢) واستعمل ابن رشد « آلة آلية » في معنى « آلة جسمانية » . انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٧٤ . ويقول في تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدراباد ص ٥٤ ، « وكذلك الأمر في المادة فان التغير إنما يلحقها من حيث هي جزء متغير وهو المشار اليه ، فأما بما هي مادة فلا » .

(٣) قارن ابن باجة ورقة ٨ ب : « كالصناعة فانه لا يمكن ان توجد الصورة الصناعية في المادة القابلة لها حتى تكون هي قبل موجودة ونجد ذلك في كثير من الأمور الطبيعية فان الدم لا يكون عنه جنين وتحصل فيه صورة الانسان حتى يقارنه المني » . ايضاً أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 10, IV. 2. 209 b 10 وقال فلوطين Ennead : (Plotinus) (ترجمة Mackenna) الجزء الثاني ص 182
(... Where there is decay there is a Distinction between Matter and Form.)

(٤) المخطوطة : متميزين .

(٥) المخطوطة : متغايرين .

(٦) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : وهي في ذاتها غير مصورة لكنها كما الخ .
أيضاً ارسطو : Phys. IV. 2. 209 b 9 : III. 6. 207 a 25; I. 7. 190 b 25

(٧) ابن باجة ورقة ١٢ الف : « وأيضاً فلا تكون حركة إذ لا يكون فوق ولا أسفل » .

وأيضاً فكما توجد مادة الماء ـ اذا فسد فصار بخارا ـ مقترنة بصورة البخار ، لا [1] على [2] أن تحصل صورة البخار صورة لها تخصها بل هي أبداً مقترنة بها ، فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على أنها هيولى [3] لها يتصور بها كما تصورت المادة بها اذ كانت ذلك الجسم [4] ، بل على انها ، كما كانت بالطبع ، موجودة في موضوع ، ولا قوام لها بنفسها ، لأنها صورة هيولانية او [5] كانت لها تلك على وجه مناسب لوجود المادة ذات صورة . فان المادة لما تصورت بصورة صارت موضوعاً لها وهي مادة غير مصورة في وجودها . فلذلك تكون فيها الصور المتقابلة بالقوة . فتكون تلك القوة لاحقة [6] ضرورية [7] لا تفارقها .

ولذلك [8] إن أمكن أن تكون صورة لا مقابل لها فإن المادة التي فيها إنما هي موضوع فقط [9] ، فليست مادة إلا باشتراك الاسم فإن الهيولى [10] لا نسبة لها في ذاتها إلى صورة من الصور بل كلها لها بالسواء . لأن كل متحرك فله محرك كالخشب الصناعية وهي لا تخلو [11] من صورة أصلاً ، واذا حصل فيها صورة ما ، أيّ صورة ، كانت عند ذلك قابلة للمضادة الأخرى . فإذا وردت [12] عليها حرّكتها [13] .

---

(١) المخطوطة : الا .

(٢) المخطوطة : علا .

(٣) المخطوطة : هيولا .

(٤) قارن ارسطو : Arist. Phys. I. 7. 191 a 10

(٥) المخطوطة : و

(٦) المخطوطة : لاحقا .

(٧) المخطوطة : ضروريا .

(٨) المخطوطة : كذلك .

(٩) فلا بد من موضوع للتقابل ، حيث لا يوجد تضاد عند عدم الموضوع ، انظر ارسطو : Phys. I. 7. 191 a 15 ، أيضاً : Plotinus (Mack.) II. p. 202

(١٠) المخطوطة : الهيولا .

(١١) المخطوطة : لا تخلوا .

(١٢) المخطوطة : إوردت .

(١٣) يقول ابن باجّة ، ورقة ١٤٤ ب : وكذا إن ورد وارد حركه لوروده حركة .

والمحرك صنفان[(١)] : إما غير مجانس كمحرك الأجسام المستدير فهو يحركها بالضرورة ، وإما مجانس[(٢)] ، فله هيولى ، وهي أيضاً قابلة للصورة المضادة للأولى . فليكن آبَ ماء . ففي آبَ صورة الماء ، فليكن ذلك بردا ، ففيه برد بالفعل وهو هواء بالقوة . فليكن قوة الهواء عليها هَ . ففي آبَ « بَ » و « هَ »ا فلذلك يحرك من جهة أنه بَ ويتحرك من جهة انه هَ . وما يقابله[(٣)] هو آ و على آجَ ، ففي آجَ جَ[(٤)] ، وهو صورته وفيه مَ وهو كونه ما بالقوة . وما بالقوة لا يتحرك دون محرك . فجسما آبَ ، آجَ ساكنان بما هما هَ و مَ ومحركان بما هما بَ و جَ . فقوة هَ تحرك ضرورة عن جَ[(٥)] وقوة مَ تتحرك عن بَ . فإن كان بَ مساوياً لـ جَ لم يتحرك ولا واحد منهما . وإن كان احدهما[(٦)] أقوى وليكن بَ حرك ضرورة آمَ وصارت المادة ب وموضوعة لـ بَ لزمها[(٧)] ضرورة هَ ، لأن بَ جَ متجانسان وأضداد . فليس كذلك مما يمكن الصور فيه غير متضادة (ورقة ١٤٧ الف) [مثال] ذلك أن هذا لخشب و كرسي بالقوة . فقد يكون كرسيا وهو خشب كما كان . فإن الكرسي غير مجانس للخشب على ما يجانس الحار البارد ، ولا اقتران قوة الكرسي بالخشب بالذات للخشب ، ولا الخشب سبب وجود القوة في الخشب إلا على جهة أخرى .

---

(١) المحرك صنفان : غير مجانس كمحرك الأجسام المستديرة ، ومجانس ، وراجع النص نفسه ، ورقة ١٤٩ ب : ... بمحرك مجانس له ... ، ورقة ١٥٠ ب ... والحركة منها مجانسة ... وغير مجانسة كالنار ...

(٢) المخطوطة : غير مجانس .

(٣) المخطوطة : للاثه .

(٤) المخطوطة : حر .

(٥) المخطوطة : د .

(٦) المخطوطة : احداهما .

(٧) المخطوطة : ولزمها .

فأما الحار وقوة البارد ، فان وجوده حارا [١] هو سبب كونه بارداً بالقوة [٢] ، ومن أجله كان ذلك ، لأن نسبة الحار والبارد الى المادة نسبة واحدة [٣] . فمن الجهة التي تقبل الحار فمن تلك الجهة تقبل البارد بعينها [٤] وهما متغايران . ولو قبلتهما معاً لما بقي هنالك تغاير أصلا . وانما كانا متغايرين لأن المادة التي لها تقبل الاستقامة ، والمستقيم هو السبب الأول في التضاد [٥] ، لأن المستقيم هو متمم وليس بتام بذاته . فلذلك له وسط وطرفان [٦] ، لأنه متصل ، وكل متصل فهو ذو أجزاء [٧] — إلا أن هذا القول يليق بالنظر في سبب وجود الأضداد — وليس للقوة المحركة التي هي له [٨] معنى يكون به أكثر أو أقل [٩] ، إلا أن تكون في جسم أعظم أو أصغر . والجسم يكون

---

(١) المخطوطة : حار .

(٢) زيلر (Zeller) يقول في كتابه ارسطاطاليس ص ٣٤٣ ج ١ :
« All becomes that wich it comes to be out of its opposite.
What becomeswarm must before have been cold » .

(٣) راجع ارسطو : Phys. IV. 9. 217 a 22 . وزاد ابن باجة في ورقة ٣٦ الف :
فإن النار لا يمكن أن تكون باردة لكن من أجل انها نار لا من أجل أنها جسم .

(٤) المخطوطة : بعينهما .

(٥) راجع ابن باجة ورقة ٦٣ الف : وليس كذلك في الخط المستقيم لأن ما منه غير ما اليه بالموضوع ، فان طرف آ غير طرف بَ . وقارن ارسطو :
Phys. VIII. 8. 264. b 14 sq ، أيضاً ابن رشد : السماع ، حيدراباد ، ص ٦١ .

(٦) ابن باجة ورقة ٦٣ الف : والخط المستقيم ناقص عنه محدود بذاته ، وانما يتم بشيء خارج عنه . (ورقة ٦٣ الف) وكذلك الحركة المستقيمة ناقصة غير تامة وانما يتممها شيء آخر غيرها وهو السكون .... فهي أول وآخر ووسط .
قارن أرسطو : Phys. VIII. 9. 265 a 28 .

(٧) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٣ الف : ولما كان المتصل ضرورة ذا أجزاء .

(٨) المخطوطة : آه .

(٩) انظر ابن باجة ، ورقة ٣٨ ب : فان الأقل والأكثر فيما له عدد ، والأعظم والأصغر فيما له اتصال . وأيضاً ورقة ٣٩ الف : ان كل متناسبتين فبينهما ضرورة معنى واحد بعينه مشترك يقبل الأقل والأكثر . قارن أرسطو :
Phys. VIII. 8. 264 b 34

أعظم وأصغر من جهة انه بالفعل ذلك الجسم ، لأنه بما هو صار له ذلك العظم الموجود بالطبع والأقل والأكثر إنما هما [1] موجودان للمتضادين من < جهة > أنهما موجودان بالفعل . والأكثر والأقل يقالان بالاقتياس ، فلذلك يلزم ضرورة فيما هيولاه واحدة أن ينفعل كل واحد منهما وينفعل الآخر . وأما ما كان هيولاه [2] ليست بواحدة لم ينفعل كل واحد منهما عن صاحبه ، بل تحرّك المتحرك وحرّك المحرك .

والهيولى إما قريبة وإما بعيدة . فاللذان هيولاهما القريبة واحدة بالنوع كالهواء والماء . وأما اللذان [3] هيولاهما البعيدة واحدة بالنوع والقريبة مختلفة بالنوع فكالصانع والخشب في الكرسيّ ، ولذلك لا يكون صانع أعظم من صانع عند خشب واحد بعينه .

ولما كانت الهيولى البعيدة مشتركة لذلك قد يحرك الخشب الصانع مثل الكلال الذي يلحقه [4] ، وعند ذلك الهيولى البعيدة . فان كل شيء يحرك شيئا — وهيولاهما شيئان غير مشتركين أصلا — لم يلحق الكلال المحرك ، لكن لكونه ذا هيولى ، لزم أن يكون للمحرّك [5] عند المتحرك نسبة [6] . وذلك

(١) المخطوطة : هو .

(٢) المخطوطة : مقولاه .

(٣) المخطوطة : التي .

(٤) ابن باجة ورقة ٤٢ الف : « لأن المحرك والمتحرك اذا كانا جسمين فان المتحرك ضرورة حركته عنه غير طبيعية ، فان كان كل واحد منهما عند صاحبه أوّلا ، فكل واحد منهما يحرك صاحبه غير ان المحرك لفضل قوته ولذلك يحرك ، ولأنه يتحرك عن المتحرك لذلك يكلّ عن تحريك المتحرّك ، فان فرقاً بين كلال المحرك عن تحريكه المتحرك وبين كلاله اللاحق له من ذاته » . قارن فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ص ١٤١ ، س ٥٨ .

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) قارن ابن باجة ورقة ٤٢ الف : ولذلك ليست أيضاً تستمر النسبة بين المحرك والمتحرك .

كالأجرام المستديرة والاسطقسات . فإن كان المحرّك لا هيولى له فذلك المحرك يحرك دون كلال ودون[1] نسبة الى المتحرك في الكم لأنه ليس بذي أجزاء . وان لم يكن مكتفياً بنفسه (ورقة ١٤٧ ب) يتبع تحريكه نسبة الى المعاضد له فان أمكن أن يكون تارة يحرك وتارة لا ، كالعقل ، وحرك تحريكاً مختلفا كما يعرض في أكثر[2] المتوسطة .

فإن كان مكتفياً بتحريكه بنفسه فذلك محرك ضرورة دائماً أو حركة سرمدية متشابهة كالمحرك الأول .

فالمادة في كل جسم يحتاج في وجودها ضرورة الى التلبس بصورة إما قريبة وإما بعيدة . والأمر فيها على ما يقوله فلاطن[3] انها لفقرها وقبحها يهرب من أن يظهر بنفسها فكأنها تستتر بأي صورة امكنت[4] . فهذه الأحوال تلحق المادة عند تجردها عن الصورة . فلننظر ما يلحق الصورة عند تجردها وكيف يكون ذلك .

والمبدأ الذي يقضي[5] على ذلك هو أن الجسم المشار اليه عند وجوده يشار اليه فان الصورة فيه والمادة لا تغاير بينهما أصلا[6] بوجه إما بالقوة وإما بالفعل . فهما شيء واحد[7] وهو ذلك الشخص المشار اليه .

---

(١) المخطوطة : ويحرك دون .

(٢) المخطوطة : الاكثر .

(٣) قارن : Plotinus : Enneads II (Mack.) p. 182 & 195 — 6 ، ويظهر ان افلاطون لم يقل به في طيماوس .

(٤) وبيّن زيلر (Zeller) نزوع المادة الطبيعي وتشوقها الى الصورة في كتابه أرسطاطاليس ص ٣٩٢ ج ١ .

(٥) المخطوطة : يقضا .

(٦) قارن أرسطو : Met. O. IX. 8. 1050 a 15 .

(٧) قارن ارسطو : Met. H. VIII. 1045 b 21 .

وان كل شيء هو غرام مّا (١) ، فان الشيء متى وجد مفارقاً للأمر ، فان الأمر قد يوجد مفارقاً للشيء .

وأما كيف يكون شيئان لا تغاير بينهما بالفعل أصلاً فيكون التغاير بالقوة ، فعلى ما يكون الجزء في الكلي المتصل المتشابه الأجزاء ، فإن الجزأين في الكل واحد بالفعل متغايران بالقوة . فان التغاير هو من وجه من أجل الصورة ، ومن جهة أخرى من أجل المادة . وأمّا كيف تكون الصورة والمادة شيئاً واحداً بالفعل ويتغايران (٢) بالقوة ، والقوة أبداً إنما هي المادة فقد بان أمره فيما بعد الطبيعة (٣) . والقوة هنا تدل على غير ما يدل قولُنا « بالقوة » (٤) فيما يتغير فليس وجود الصورة هنا غير المادة بالقوة على ان أحدهما يتغير فيفترق المجتمع ، بل على جهة أخرى (٥) . فان الصورة المختصة بذلك المجتمع اذا فسد فسدت صورة ، وتتصور المادة بصورة أخرى (٦) ، ويصير بذلك التشكيل مجتمع آخر ، غير أن نسبتها إلى نوع الصورة الأولى توجد عند ذلك فيها (٧) ، فتصير بهذه

---

(١) ابن باجة ورقة ٥٤ الف : كل واحد من هذه تشوقه بالطبع غريزة فيه . والمادة نزوع طبيعي الى الصورة بينه ارسطو انظر : Arist. I. p. 379 : Zeller; De Gene. Cor. II. 10. 336 b 4 ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ص ١٣٦ .

(٢) المخطوطة : يتغاير .

(٣) قارن أرسطو : Met. K. XI. 1060 a 20; 107 = b 12; 1071 a 10; 1042 a 27 .

(٤) المادة والصورة متقاربتان ، ووجود الصورة حقيقة فعل ما بالقوة ، والمادة ، كما ذكره زيلر (Zeller) ، في ذاتها أو قوتها هي التي فعلها صورة ، انظر : Arist. Vol. I p. 379 .

(٥) يعني المادة تختلف عن الصورة بالذات فقط ، فما بالقوة من حيث هو هو لم يتغير ولم يقبل الفعل بعد .

(٦) والمادة لا توجد منفردة عن الصور أصلا ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة أخرى . النص نفسه والتعليق ٩ السابق . زيلر (Zeller) : Arist, I. p. 382 .

(٧) النص العربي آخر ورقة ١٤٩ ب : لأن نسبتها الى الهيولى فيها .

النسبة محاكية لما بالفعل[١] ، وقد استقصي القول فيها في غير هذا الموضع .

فأما الصورة فلا يمكن فيها أن تتحرك[٢] كما أمكن في المادة فتصير غيرا ، إلا انها غير بالضرورة . فكيف توجد غيرا ؟ أما أنها لا تتحرك بالذات فذلك بيّن ، لأنها غير منقسمة[٣] وأما أن تتحرك بالعرض فذلك غير ممتنع ، كما تبين في السماع[٤] . لكن حركتها بالعرض كيف تصير بها شيئا ، والحركة بالعرض ؟ وكيف وجود هذه الحال لها حتى تصير بها غيرا ؟

فنقول : إن من الأمور التي يجب أن يعترف بها ان الطبيعة لا تصنع أمراً باطلا ، ولا في الوجود أمر باطل أصلا . وكل موجود إما أن يكون لأجل غيره أو لأجله[٥] . (ورقة ١٤٨ الف) وما هو لأجل غيره فغايته اتصاله بذلك الشيء < الذي > وُجد له .

والاتصال إمّا في [الوجود] فالأمر فيه كاتصال النفس بالبدن واتصال

---

(١) المادة لاقترانها بالصورة الأولية تصير محاكية لما بالفعل فتحرك صورة أخرى (النص) فان المادة نفسها ليست شيئاً أصلاً بالفعل ، والمتغير ضرورة موجود بالفعل شيئاً ما فلذلك كان عندما يتحرك موجوداً بالضرورة فيحتاج الى الصورة ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي هي فيه ، انظر النص ورقة ١٥٢ ب ، وقارن أرسطو : Zeller : Arist I. 383; De Gen et Cor. II. 9. 335 b 17; b 30 .

(٢) انظر ابن باجّة ، ورقة ٢٢١ الف ٣ فلذلك يقال انها (الصورة) ساكنة لأنها لا تتحرك بل تعدم وتوجد ، لا يتغير ذاتهـــا لا بكون ولا فساد ، وقارن أرسطو : Phys. V. I. 224 b 25 .

(٣) النص نفسه ورقة ١٥٣ الف : وهي غير ذات أجزاء .

(٤) انظر التعليق (٢) أعلاه ، وفصّل ابن باجة قائـــلاً (ورقة ٢٢١ الف) : وهذه الصورة فلا تتحرك لأنها ليست أجساماً بل ان تحركت فبالعرض كما يقال في النحو انه متحرك اذا تحرك النحوي .

(٥) اما ان الموجود ينقسم الى لذاته ولغيره فذلك أيضاً يفهم من ورقة ٢٢٠ ب : والنبات فليس من الموجودات لذاتها ، بل من الموجودات لغيرها من الأجسام .

المتغير بالمغير سواء كان تغيراً أو انفعالا أو[1] ملكة وما يجري مجراها ، وإما[2] اتصال الهيولى وهو اتصال الجسم بالجسم ، وهو أصناف : فمنها اتصال الجسم بما فيه الجسم وهو الاتصال بالمكان ، ومنها اتصال الجسم المحرك بالجسم المتحرك . وأقدم هذه الاتصالات الاتصال بالمكان على ما تبيّن في سابعة السماع[3] . إذ كان كل متغير فله مغير .

والاتصال يقال على اتصال الوجود[4] واتصال الجسم بتقديم وتأخير . والاتصال بالمكان هو اتصال الجسم بالجسم بالذات وأما سائر ذلك فهو < اتصال الجسم بـ > الجسم[5] بالعرض .

وظاهر أن كل شيء إما أن يكون جسماً أو في جسم أو لا يكون جسماً أصلاً ولا في جسم . وأعني بقولي « في جسم » كل ما يحتاج في وجوده الى الجسم ، فانه قد يبرهن أن موجوداً ما لا يحتاج في قوامه الى الجسم بل يحتاج الجسم في قوامه اليه ويكون متصلاً بالجسم على هذه الجهة كما تبين ذلك في آخر الثامنة من السماع ، وفي[6] السادسة عشر من الحيوان[7] . « فهذا »

(١) المخطوطة : و . (٢) المخطوطة : .... مجراها منها .

(٣) قارن أرسطو : Phys. VII. I. 242 b 24 .

(٤) النص نفسه ورقة ١٤٩ الف : وهذا الاتصال ... الا في الوجود .

(٥) المخطوطة : فهو الجسم . (٦) المخطوطة : ومن .

(٧) الظاهر ان ابن باجة يشير الى الباب الثامن من كتاب السماع الطبيعي والباب السادس عشر من كتاب الحيوان ، ولكن أرسطو ، كما يفهم من المقالتين في كتابيه ، لم يذكر الاتصال بالمعنى الذي وصفه ابن باجة في هذا المقام . والذي قاله أرسطو في الكتاب الثامن من السماع ، ولعل ابن باجة قصده في نظريته ، « ان كل ما هو محرك بالذات متصل » (5. 227 b 1) ، وانظر أيضاً Phys. III. I. 200 b 7 ، « فالحركة من الأشياء التي هي متصلة » ، أيضاً Phys. VI. 2. 232 b 24; V. 3. 227 a 10; IV. II. 218 b 11 ، ولمادة كتاب الحيوان انظر Der Portibus Animalium II. 9. 654 b 14 . وفي آخر الكتاب الثامن من السماع بين ابن باجة : « وبين ان المتحرك عن مثل هذا المحرك (أي الأول) دائم الوجود ، وسبب دوام وجوده اتصاله بمبدأه ، ومبدأه أول وهو يمده دائماً بالوجود لأنه فيه ومتصل به .

ليس بجسم ولا في جسم ، وهذا لا يمكن أن يكون له اتصال إلاّ بالوجود فقط . فلذلك إن كان شيء وجوده لغيره وكان ذلك الذي وجد من أجله جسماً لزم ضرورة أن يتصل المتقدم بالمتأخر اتصالاً جسمانيا . وإن كان المتأخر ليس قوامه بذلك المتقدم حتى يكون المتأخر في المتقدم كالصحة في الانسان . فضرورة سيكون «هذا» جسماً ، فانه ان لم يكن جسماً لم يكن بين المتقدم والمتأخر اتصال أصلاً .

والصور الهيولانية لم توجد لأنفسها بل كانت من أجل غيرها ، فإن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلا . وتبين [1] في كتاب السماء والعالم [2] ان الاسطقسات لأجل الأجسام المستديرة [3] ، لأن الجسم المستدير فيها على جهة ما الجسم في المكان ، وهي في الجسم المستدير على جهة ما الجزء في الكل . فان العالم كأنه حيوان واحد مفرد ليس يحتاج إلى شيء من خارجه اصلاً ، فبالضرورة كانت صورة الاسطقسات في مادة . ولما كان السبب على طريق الغاية هو التام — وهو الوجود الأفضل — فلذلك كان وجوده بعد الاسطقسات ضرورة في موضوع لوجود ما هي من أجله كذلك . فإنه لو لم يكن ضرورة المستدير في موضوع لم تحتج هذه ان تكون في موضوع ، فوجود تلك الصور في موضوع هو سبب وجود هذه في موضوع . فالجسم يقال على تلك وعلى هذه بتقديم وتأخير . وقد استبان ما تشكك فيه أبو نصر في مقالتـه في

(١) المخطوطة : وتبين .

(٢) وفلاسفة العرب يسمون الرسالتين الشهيرتين بـ De Caelo و De Mundo ، وهما لأرسطو ، بكتاب السماء والعالم .

(٣) قارن أرسطو : De Caelo III. I. 298 a 30 و De Mundo 2. 391 b 9 .

العقل والمعقول (١) .

(ورقة ١٤٨ ب) وقد تبين أن المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة (٢) حسب ما وضعه ارسطو ، لكن من أجل وجودها الأخير لا من أجل وجودها الأول و [الشك] إنما لزم من أجل وجودها الأول . وقد يتشكك على هذا القول : فيقال ان الوجود الأخير هو الأفضل ، ووجودها الأول هو الأنقص فيكون الوجود الجسماني أفضل من الوجود المعقول ، وهذا مناقض لما يقوله فلاطن والمشهور من مذاهب المشائين .

فنقول : إن قولنا « وجود أفضل » يقال على نحوين : إما بالإطلاق ، فإن الوجود المعقول أفضل من الوجود المحسوس (٣) وذلك بيّن لأن المعقول أحرى بالوجود من المحسوس ، فإن ذلك مبدأ لهذا (٤) ، وقد بيّن ذلك فلاطن

(١) الظاهر ان ابن باجة يشير الى ما قاله الفارابي في رسالته في العقل (تحقيق بوئيج Bouyges ، ص ٣٠) ان الصور التي في العقل بالفعل والتي تتجرد عن المادة إن كانت موجودة بغير المادة فماذا تحتاج الى المادة ، ولم تتنزل من الكمال الى النقص ؟ وانما أشار الفارابي الى الجواب حيث يقول : « يقال انها تتنزل لتكميل المادة في الوجود » ، وزاد قائلاً : « هذا يدل ان الصورة وجدت من أجل المادة فقط » وهذا يخالف ما قاله أرسطو . أمّا ابن باجة فانه يبين ان السبب هو التام على طريق الغاية فيكون ضرورة في موضوع ، فان الاسطقسات التي هي من أجل التام ضرورة في موضوع ، فوجود الصور في موضوع هو سبب وجود الاسطقسات في موضوع ، فالاسطقسات والصور أجسام بتقديم وتأخير .

(٢) لم يصرّح ابن باجّة ان المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة ، ولعله أراد النسبة التي بيّنها لها في ورقة ١٤٦ ب : « ان امكن ان تكون صورة لا مقابل لها فان المادة التي فيها انما هي موضوع فقط الخ » ، ولا صرّح أرسطو واضحاً هذه المسألة ، راجع Phys. III. 7. 207; I. 7. 191 a 10; 9. 192 a 22 .

(٣) هذا يتضح ممـا قاله ابن باجّة في موضع آخر : ورقة ٢٢١ الفص ٩ : « وأنفس الحيوان تتقدم بالزمان الجواهر المعقولة في الاسم ، والجواهر المعقولة هي أخلق في الوجود بهذا الاسم » .

(٤) قارن زيلر : Zeller : Arist.. II. p. 338. 5 .

وأرسطو وكثير من المشائين . والأحرى بالوجود يقال انه أفضل وجودا ، وقد يقال « وجود أفضل » بالإضافة الى نوع نوع من الموجودات ، لكن ليس انه[1] من أجل ذلك الموجود[2] فيكون للوجود الاسم الذي لذلك الموجود ليس من جنس الأفضل ، فيكون إنما وجوده الأفضل هو من جنس الوجود الأنقص . ويكون هذا الأفضل لا من أجل أنه النوع من الوجود بل هو له من أجل شيء يخصه[3] . فلذلك قيل ان الصورة الهيولانية معقولة لا بذاتها بل من أجل أن العقل جعلها كذلك .

لكن قد يتشكك متشكك فيقول : ان هذا الوجود اللاحق للصور الهيولانية لو لم يكن في ذاتها ووجودها أن تكون معقولة لم تعقل . لأنه كل شيء يوجد لأمر ففي طبيعة الأمر قبول ذلك الشيء . وما لم يكن في طبيعته قبول شيء ما لا قريباً ولا بعيدا فلا يمكن ان يوجد له لا بالذات ولا بالعرض .

فنقول : إما أن يكون في طبيعة الصور الهيولانية أن تكون معقولة بوجه فذلك مما لم يوضع في القول ، وإمّا أن يكون ـ في وجودها الذي يخصها ـ وجودها معقولة ، فلا . لكن يكون مما به قوامها قبول[4] للوجود المعقول ، فاذا اتصل بها المحرك صار لها ذلك الوجود ، فلذلك تحتاج في ذلك الوجود إلى شيء آخر . وهو اتصالها بالمحرك وهو لها من خارج . فلذلك ليس في ذاتها أن تكون معقولة بل أن يجعلها عقلاً غيرُها . فلذلك تحتاج الى هذا الاتصال دائماً لتكون معقولة ، ويتم لها كلها في وجودها فيكون كال وجودها الخاص بها هو من جنس الوجود الناقص ، فاذا أخذت قسطها من الوجود الأفضل

(١) المخطوطة : ان .
(٢) المخطوطة : الوجود .
(٣) المخطوطة : بعمه .
(٤) المخطوطة : قمول .

كانت حينئذ مقتصرة على وجودهـا الأفضل (١) . (ورقة ١٤٩ الف) [فلأجل] هذا كلّ متبرىء من المادة وهي (٢) ضرورة مفارقة كما يقال في العقل المستفاد .

لكن قد يتشكك على هذا القول ، فيقال : ان وجود الصور معقولةً هو وجودها غير مقترنة بفعل فقد لزم أن يكون في الطبيعة شيء باطل ، فيعود الشك بعينه .

فنقول : ان هذه الصور الهيولانية قد تكون محسوسة ومتخيلة فتكون عند ذلك محركةً للشهوة والغضب ولأشياء أخر كثيرة (٣) . فتكون لها أفعال إما في وجودها في الموادّ التي تخصها فتلقب بألقابها ، وإمّا في وجودها محسوسةً ومتخيلةً فلا تلقب بتلك الألقاب ، بل يلقب الجنس نفساً (٤) متحركةً ولا اسم لصنف صنف منها يخصها .

لكن قد يسأل سائل فيقول في وجودها معقولات مثل ذلك بعينه . ووجودها معقولة ان بعضها لا يوجد شيء بفعله أصلاً . لكن هذا الشك انما يجب أن يفحص عنه عند النظر في وجود العالم ونسب ماهيته بعضها الى بعض . فإن وجود المعقول من أجل غيره غير وجود الهيولاني من أجل غيره ، بل الوجودان متقابلان (٥) . ولهذا (٦) قال أبو نصر : « ويصير أحد موجودات

(١) المخطوطة : وجوديها الافضلين .
(٢) المخطوطة : هو .
(٣) راجع أرسطو : Arist. : De An. I. 403 a 16 .
(٤) أيضاً : Zeller : Arist. I. p. 220 ft. ; Arist. : Met. VIII. 6. ch. 28. 1024 b 3 .
(٥) راجع زيلر : Zeller : Arist.. I. p. 351 .
(٦) في نسخة برلين عنوان مستقل : « في الحس » .

العــالم » (١) .

ولما كان المحرك يفعل حينا ولا يفعل (٢) حينا آخر وجب أن يكون هناك تغير ضرورة . إلاّ أن المحرك ليس بجسم ، فالتغير إذن في الصورة الهيولانية . ولما كان كل ما ليس منقسم فليس متغير كان لما التغير (٣) بالعرض (٤) وهو أن توجد لمتغير . فهي إذن ضرورة تحتاج أبداً الى الهيولى لتتغير بها (٥) . وهذا الاتصال ليس يقال بالتغير في بالمكان ، لأن أحدهما ليس بجسم وليس يقرب أو يبعد ، فليس إلاّ في الوجود (٦) .

ولذلك يكون للهيولاني ضربان من التغير ، يتقدم أحدهما الآخر على نحو ما يتقدم مبدأهما (٧) : أما الواحد فهو التغير (٨) في المكان ومبدأه الوجود الهيولاني من أجل انه هو في موضوع . فان الهيولاني إنما يدل عليه من أجل

---

(١) راجع رسالة في العقل ، نشر بوئيج (Bouyges) ص ١٧ : « فاذا حصلت المعقولات بالفعل صارت حينئذ أحد موجودات العالم وعدت من حيث هي معقولات في جملة الموجودات » . والعبارة تدل على أن المعقولات تختلف من الأجسام . وابن باجّة يوضح الأمر عندما يصف ان الحس المشترك لا يوجد في نفسه ، واذا يدرك بالحس فيصير شيئاً مشاراً اليه وأحد موجودات العالم : راجع ورقة ٢٢٠ ب : فاذاً إنما يعطي المني المادة قوة الحس المشترك فيما له ذلك ، وليس هو في نفسه شيئاً موجوداً . واذا أحس صار شيئاً مشاراً اليه وأحد موجودات العالم ، واذا كان بحيث يبقى فيه رسوم أحس بعد غيبة المحسوس صار بالفعل شيئاً مشاراً اليه وصار أحد موجودات في العالم .

(٢) المخطوطة : يعمل .

(٣) المخطوطة : المتغير .

(٤) راجع النص ورقة ١٥٣ الف : فتغير الصورة ... بالعرض .

(٥) قارن أرسطو : Arist; Met. 1010 a 15; Phys. VIII. 3. 253 b 9 sqq .

(٦) راجع النص ورقة ١٤٨ الف : والاتصال اما في الوجود الخ ، ... على اتصال الوجود .

(٧) المخطوطة : مداهما .

(٨) المخطوطة : المتغير .

أنه كاين لا من أجل أنه موجود ، والتغير الآخر من أجل هذا الوجود الخارج عن ذاته الذي يتقدم ذلك الوجود الآخر كما تتقدم حركة المكان سائر الحركات . فأما التغير في الكم — مثل النشوء — (١) فذلك خاص ببعض الأجسام الهيولانية وهي المتغذية .

والتغير في الوجود هو أن يصير « هذا » في رتبة أقرب الى الوجود (٢) . وذلك بأن توجد لها مغايرة ما . وقد قلنا ان ذلك ليس يمكن فيها إلا من أجل المحرك والمتحرك لا يحرك (٣) . فظاهر أنه يجب (ورقة ١٤٩ ب) أن يكون الوجود يخالط الاسطقسات ليس بواحد هو منها أحرى بالوجود من الهيولاني (٤) وهو مشوب مع الاسطقسات (٥) يكون تارة تحريكه بمحرك مجانس له وهو الذي في ذوات الأنفس المتناسلة ، وبعضه تحركه الأجسام المستديرة كأنفس المتكونة غير المتناسلة .

ولأن القول في وجود الصور الهيولانية مجردة عن الهيولى ، وهذه هي العقل بالفعل (٦) فقد تبين أن ذلك هو السبب الأقصى (٧) مما قلناه قبل .

---

(١) المخطوطة : النش .

(٢) مراتب الوجود بيّنها ابن السيد البطليوسي من رفقاء ابن باجة ، في كتاب الحدائق ، ويقول في ختام البحث : فانما أريد بذكر القرب والبعد مراتبها في الوجود . راجع الأندلس : Al - Andalus : vol. V. 1940 p. 64. 5 ، ميدرد .

(٣) المخطوطة : لا يتحرك .

(٤) المخطوطة : الهيولانية .

(٥) قارن أرسطو : Phys. III. 4. 204 b 32 .

(٦) انظر التعليق (١) ص ٥٨ (الفصل الثاني) .

(٧) كما قال ابن السيد في حدائقه (الأندلس vol. V. 1940 p. 65. 8) : أول الموجودات التي خلقها الله تعالى الثواني التسع والعقول المجردة عن المادة ، ويتبعها العقل بالفعل الذي يخدم الاسطقسات وهو مجرد عن المادة مثل الثواني ، وهو عاشر في مراتب الوجود .

وكان هذا النحو من[1] الوجود في[2] الهيولى لا يمكن أن يكون موجوداً بالفعل حتى يكون بأحوال محدودة من الاغتذاء[3] والأمكن أن يكون مختاراً من الغذاء الملائم الى ساير ما لا يتم وجوده إلاّ به وهو الإنسان .

فبالضرورة تقدمت إذن القوة الناطقة ساير[4] قوى النفس في الوجود ، ووجدت ساير القوى لأجل هذه التي هي أفضل ، فلذلك تكون والتخيل من أجل القوة الناطقة ، ولم يكن ذلك[5] بالضرورة كما يعتقده من يرى أن الاسطقسات لما اختلطت باعتدال عرض عنها الحس بالاتفاق .

والصورة إذن لها مراتب : أولها كونها وجودها هيولانية[6] ، وهذه فلا مغايرة فيها أصلا . وهي الطرف الأقصى ، وطرف آخر مقابل له وهو وجودها معقولة ، وهو طرف أقصى . إلا انه في وجودها معقولة < يجب > أن يكون لها وجود هيولاني ويكون ذلك مما به قوامها . فإن ذلك هو مبدأ وجودها . وإن التام هو أخلق المبادي بأن يكون مبدأ فلذلك لا تمكن هذه أن تتجرد من الهيولى أصلاً . ومتى جردت كانت مخترعة كاذبة . فلذلك لزم ضرورة أن يكون النظر الطبيعي في «الصور مع المواد» . وتلخيص هذا يكون في القوة الناطقة[7] فهي أبداً لا تخلو[8] من موضوع إذ كذلك طبعت .

---

(١) المخطوطة : في .

(٢) المخطوطة : من .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ٤٥ الف : وأما الحيوان فانه كما قيل في مواضع كثيرة بالطبيعة يغتذي .

(٤) المخطوطة : وساير .

(٥) أي قوة الحس لم تكن بالضرورة ولكن الحس والتخيل هما وجدا من أجل القوة الناطقة .

(٦) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس . بتحقيق أحمد الأهواني ، ص ١٦٠٧٣ وحيدراباد ص ٦٧ .

(٧) انظر ورقة ١٦٤ الف : « إن كان ذلك فلها هيولى الخ » .

(٨) المخطوطة : لا تخلوا .

فاذا وجدت متغايرة فظاهر أنه قد اتصل بها المحرك على قدر تغايرها . وذلك تابع لمقدار التجرد . فكذلك كل صورة هيولانية ، أعني أن توجد في موضوعها على أن الموضوع هيولى لها . فهي والاسطقسات في رتبة واحدة . فأمّا اذا وجدت منتزعة نحواً من الانتزاع سواء كانت مجردة أو كان لها موضوع — إلاّ ان حال موضوعها منها ليست مثل حال الهيولى من الصورة — فإن ذلك كيف كان فيقال له إدراك .

فأمّا تجرد الصور الهيولانية فذلك غير ممكن لأن نسبتها الى الهيولى فيها على ما تبين قبل هذا [1] . فلذلك يكون في ذوات (ورقة ١٥٠ الف) الصور ضرورة معنى به تتصل بالهيولى ، فما دام اتصالها [بالهيولى] كانت عقلاً واذا تجردت [2] الهيولى صارت عقلاً بالقوة .

وهذا التجرد مراتب ، وكل رتبة يقال لها « نفس » ، و « قوة نفسانية » وهي رتبة : منها الحس ثم التخيل ثم النطق وهو [3] أقصاها . فأما المغتذي فأيّ رتبة رتبته فسنبين أمره بعد . وقد قلنا من أجل ماذا كانت هذه الرتب ، وانها كلها من أجل الناطقة .

وامّا ان هذه رتب فذلك بيّن بنفسه . فان الحسّ والتخيل أمران ظاهران الوجود .

فأمّا أيّ هذه هي الحس وكيف يكون ، فبيّن ما نقوله :

فنقول : إن من الأمور الظاهرة ان الحس يكون بالفعل [4] كحال الحيوان المنتبه عندما يحس ، وقد يكون بالقوة مثل حال النائم والغالق عينيه . والقوة

---

(١) انظر ورقة ١٤٧ ب : « غير ان نسبتها الى نوع الصورة الأولى توجد الخ » .
(٢) المخطوطة : تحركت .
(٣) المخطوطة : وهي .
(٤) قارن ارسطو : De An., II, 5. 417 a 6; 22 sqq. . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٢٠-٣٠ ، حيدراباد ص ١٧ .

منها قريبة ومنها بعيدة[١] . والبعيدة كقوة الجنين على الحس ، والقريبة كحال حاسة الشم عندما لا يحضر مشموم ، وحال البصر عند الظلمة . وكذلك من الأمور المعترف بها ان لا يحس أي نوع شيئاً من الحس بأي عضو[٢] اتفق . فان الحيوان لا يبصر بفمه ولا يذوق بعينيه .

وكل ما بالقوة فانما يصير بالفعل بأن يتغير بمغير كما تبين في ثامنة السماع[٣] . فقد يجب أن يكون في الحس متغير ومغير[٤] وبيّن أن المتحرك غير المحرك . فالمحرك هو المحسوس ووجوده محركاً ظاهر بنفسه والمتحرك هو الحاسة ، وكل متحرك فانه بالقوة ذلك الذي اليه يتحرك فالحاسة لها قوة الحس ، والقوة على ما تبين في مواضع كثيرة هي في الهيولى[٥] . فلننظر أي هيولى يجب أن تكون هذه .

فنقول : ان الهيولى تقال بتقديم على الهيولى الأولى المشتركة الكائنة الفاسدة وهي بالقوة ذلك الشيء الذي من شأنها أن تقبله . وهي في غير ذاتها غير مصورة لكنها كما قلنا مقترنة بصورة[٦] ، فلذلك يوجد لها أبداً أحد الأضداد . وذلك ان الصور الأولى التي هي صور الجواهر كالخفة والثقل[٧] ، فلا توجد

---

(١) قارن أرسطو : De An. II. 5. 417 a 30; b 19. 30; 418 a 1 أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ص ٢٠ .

(٢) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٢٥ ، حيدراباد ص ١٠-٢٢ .

(٣) انظر النص نفسه ورقة ١٤٣ الف ، والتعليق ٢ و ٤ من ص ٤٥ .

(٤) قارن أرسطو : De Somno I. 454 a 9; De An. II. 5 416 b 33 .

(٥) انظر النص نفسه ورقة ١٤٧ ب : والقوة ابداً إنما هي المادة الخ .

(٦) النص نفسه آخر ورقة ١٤٦ الف . وورقة ١٤٦ ب : وهي لا تخلو من صورة أصلا الخ . وابن رشد : المصدر نفسه ، الأهواني ، ص ٢١ وحيدراباد ص ١٧ و ١٨ .

(٧) انظر ابن رشد : المصدر نفسه ، الاهواني ، ص ١٦-٧٣ وحيدراباد ص ١٩-٦٨ .

خلواً من هذه . وكذلك في الأعراض التي تنسب الى الأجسام من أجل ما هي أجسام ، فان الهيولى انما يوجد لها من الأعراض الأول أحد الأضداد [1] ، وأول الأعراض وجوداً فيها الأطوال . فلذلك توجد أبداً مجسمة . فأما لِمَ كانت الأطوال أول الأعراض اللاحقة لها فقد أعطي السبب فيه في غير هذا الموضع . ثم من بعد ذلك أنواع ، الكيف والأين الى ساير ما الجسم من المقولات العشر . فكل صورة في مادة فان الأطوال تلزمها . لأن الصورة إمّا أن تكون لبسيط ـ فقد قيل ـ لها من أجل المادة الأطوال ، أو تكون لمركب ، فهي غن ذوات الأطوال . ويلزمها من أجل صورتها النوع من الطول الذي (ورقة ١٥٠ ب) يوجد لها سواء كانت نسب أبعاده الثلاثة بعضها الى بعض محدودة كالحيوان أو كانت لها بالعرض كقطعة ذهب فإنها قد تكون كرة فتكون أبعادها الثلاثة متساوية ، فاذا مدّت فصارت مستطيلة تقرب أبعادها بعضها الى بعض .

والمحسوسات هي اعراض في أجسام هيولانية وهي التي تخص بالأجسام الطبيعية أو صور الأجسام الطبيعية . والأعراض الطبيعية إما خاصة بالأجسام الطبيعية كالحر والبرد والصلابة واللين ، وإما مشتركة للأجسام الطبيعية والصناعية . إلا أنها الصناعية متأخرة والطبيعية متقدمة . فالمحسوسات إذن هي صور في أجسام طبيعية ، فإن الأعراض تجري مجرى الصور . وبيّن أن هذه كلها صور هيولانية ليس لصور واحدٍ منها شيء من الانتزاع [2] .

والأعراض الطبيعية منها محركة ومنها متحركة . والمحركة منها مجانسة [3]

---

(١) أيضاً ، ص ١٠٧٤ وحيدراباد ص ٥٠٦٩ .

(٢) المخطوطة : الانواع ، وبالهامش الانتزاع .

(٣) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : والمحرك صنفان .... واما مجانس ....

للمتحرك وهي (١) الشيء الذي يصير المحرك مثله كالنار ، <ومنها> غير مجانسة (٢) كالنار لتصليب الطين .

وما تحرك عن نوعه فليس يصير ذلك المحرك ولا يصير له ذلك المعنى المختص بالمحرك من جهة ما هو ذلك المحرك فلذلك (٣) تحركت الى النوع (٤) فانها (٥) لو تحركت الى ذلك الشخص من أشخاص من نوع المحرك لما أمكن ان تحرك خشبة مَّا . بل كانت (٦) تحركها نار ما بعينها ، كحركة العاشق للمعشوق ، فانها (٧) ليست تتحرك الى أي انسان اتفق مثل الانسان بعينه ، وهذا بيّن بنفسه .

ولذلك تبين في المحرك انه انما حرك لابانه ذلك الذي في المادة من أجل انه في المادة بل حرك من جهة انه ذلك النوع ، كما يشاهد ذلك في الأجسام الممتزجة ، فإنها تتحرك بحركة الأغلب من غير أن يكون هنالك عند الامتزاج الخيار . ولا تغاير إلاّ أن يكون هناك متضادان وهنا انما هو أحد الأضداد فقط ولا معنى فيه (٨) للمادة بل هي فيه كأنها ليست بموجودة وكأن الصورة موجودة في الجسم فقط . وانما تبين أمرها كما ذكرناه (٩) عند التغير .

(١) المخطوطة : وهو .
(٢) المخطوطة : غير مجانس .
(٣) المخطوطة : بل .
(٤) أي الصورة الخاصة التي تتحرك الى النوع يقال لها الطبيعة أو ما يجري مجراها ، كما ذكر ابن باجة في تدبير المتوحد ص ٦٨ : ... الطبيعة ، فانّ العاطش مثلا يجد في نفسه صورة روحانية للماء (في الأصل : الماء) والجائع للطعام (في الأصل : الطعام) .... وأما ما يجري مجرى الطبيعة كالعاشق للمعشوق وبالجملة فالمشوق للمشوق .
(٥) المخطوطة : فانه .
(٦) المخطوطة : كان .
(٧) المخطوطة : فانه .
(٨) المخطوطة : فيها .
(٩) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على انها هيولى لها الخ .

وليس هذا هو الوجود الذي وقع به التغايير بل هذا هو وجودٌ للصورة التي يخصها من أجل ذاتها .

فان وجدت هذه الصورة وقد غايرت المادة على النحو الذي قلناه [١] ، فانها تكون على أحد نحوين : إما أن تكون كانت موجودة متغايرة فحضرت عند الادراك ، وبيّنٌ أن هذا محال ، فانه يلزم أن تكون صورة هذا الكاتب مثلاً بوجوده عند الحاسة [٢] قبل ادراك المحسوس [٣] . وإما أن تكون تحدث فيلزم أن تكون بالقوة ، وما بالقوة فهو هيولى . لكن إن كانت تلك الهيولى له فالحادث مثله هو ، لأنه يلزم أن يكون (ورقة ١٥١ الف) الحادث جسما فيكون بالحس ذا عظم في نفسه فلا يحض الصغير ما هو أكبر منه لأنه يكون الجزء ليس بأصغر من الكل ، وهذا محال .

وانما تتصل بالمحرك غير الاتصال الأول ان كان هناك اتصال . وان كانت الهيولى بحال أخرى حتى تكون اذا كانت بحال مّا اتصلها ، واذا كانت بحال أخرى لم يتصل بها ـ وتلك الحال هي النفس ـ أو تكون مواد لا من نوع واحد فكيف تكون مادة بلا صورة أصلا ؟ وكيف يتحرك ما هذا سبيله وكيف كان ؟ فانّ المحرّك قد اتصل بهذا المتحرك غير اتصاله بالهيولى حتى صارت تقبل الصور هذا النوعَ من القبول ، إذ لا يمكننا أن نضع أن

---

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : الا" انها غير بالضرورة .... وورقة ١٥٣ الف : اذا كانت الصورة قد غايرت .... فتتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٢) المخطوطة : الحاسب .

(٣) استدلّ ابن باجة على ان الصور الروحانية لا تتجرد عن الأجسام والا لزم محالات بدليل آخر يشبه ما ذكره في النص ، ورقة ٢٢١ الف و ب : « ولو وجدت (أي الصور الروحانية) مفارقة للزم أحد أمرين : اما أن يكون أجساماً ولذلك تتصل بالأجسام وكونها أجسام محال ، وأيضاً فلو كانت موجودة مفارقة للزم من ذلك أيضاً محالات كثيرة .... وهو وجود أشخاص الاعراض مفارقة لأن هذه الاعراض هي التي تحرك فيلزم ما يلزم وهو وجود الاشخاص قبل وجودها .

الحس يحرك المحسوس (١) . ولو وضعنا ما وضعه جالينوس في الأبصار فعل ذلك المحسوس ولافترق . إلا أن جالينوس يضع المحرك المتحرك يتحرك الى المحرك وهو المحسوس (٢) ، وأرسطو يضع ان المحرك ها هنا هو المحسوس ، هو الذي يتحرك بنحوما إلى المتحرك ، لأن المحرك يجب أن يكون بالفعل . وهذا بين بنفسه . وهذه القوة هي نفس بالجملة .

ولما كان الأمر على ما تبين ، وأن كل كائن فاسد فهو جسم ملموس (٣) . وكان كل ملموس (٤) فهو إمّا بسيط وإما مركب . وكانت البسائط هي الأربعة وهي المعدودة في مواضع كثيرة — واحد المواضع في الثانية عشر من الحيوان (٥) . وقد تبيّن أن كل جسم حساس فهو مركب (٦) وليس ببسيط ، وانه على ما تبين من أرض ليكون له قوام ونهاية مخصوصة ، فانه ليس يوجد حيوان متشابه الأجزاء ، ولا نبات . وكل مركب فإمّا أن تكون اسطقساته التي تركب منها (٧) موجودة منه بالفعل — فيكون تركيبه إمّا اتصالا وإما التحاما ، وبالجملة فيكون متلاقياً (٨) — وإمّا أن تكون اسطقساته التي منها تركب موجودة فيه بالقوة ، فيكون امتزاجاً . وما له نفس فهو مركب على هذه الجهة

---

(١) قارن زيلر : Zeller (De An. II. 5 init.) Arist. II. p. 58. 6 .

(٢) قارن أرسطو : De An. II. 5. 416 b 33; 417 a 13 .

(٣) المخطوطة : محلوس .

(٤) المخطوطة : محلوس .

(٥) أيضاً Arist. De Motu. 703 a 25; De Caelo. 269 a 2. 29 ، وابن باجة ورقة ٩٤ ب : « قال أرسطو عندما عدد الاسطقسات في الثانية عشر من الحيوان » .

(٦) واجع ابن باجة : ورقة ٩٣ ب : انواع التركيب ثلاثة : الأول تركيب الاسطقسات — وهو من الصورة والمادة الأولى ، والثاني التركيب من الاسطقسات وهو في المتشابه الأجزاء . والثالث التركيب من هذه وهي الأعضاء في ذي الأعضاء ، وأجزاء النبات كاليد والرجل وما جانسها .

(٧) المخطوطة : منه .

(٨) المخطوطة : متلاقت .

لا على الجهات الأُخر . فانه لا يوجد نبات ولا حيوان يوجد < فيه > أحد الاسطقسات بالفعل ، فلا يظهر فيه أحد الاسطقسات ظهوراً يظن به أنه أحدهما ، كما يظن ذلك في كثير من المركبات [١] ككثير من الأشجار وكثير من الأجسام المعدنية . بل إنما توجد الأرض والماء فيهما يختلطان . وأما سائر الاسطقسات فوجودها قد يخفى في بعضها .

وكل ممتزج فله مازج [٢] ، وقد تبين في الكون والفساد كيف يكون المزج بالإطلاق [٣] .

والامتزاج منه صناعي كمزج الذهب بالفضة والعسل بالخل في السكنجبين ، ومنه طبيعي كامتزاج الاسطقسات في النبات ، والامتزاج الطبيعي يكون على ما بيّن بفعل وانفعال .

وأصناف التغير الذي يكون به نوع نوع من أنواع الامتزاج هو إمّا طبخ وإمّا عفونة (ورقة ١٥١ ب) أو غير ذلك من الأنواع المعدودة في الرابعة من الآثار العلوية [٤] . وهذه كلها تتم بالحرارة الطبيعية [٥] فهي في جسم طبيعي ضرورة فان الحرارة مما تفارق . وليست تلك الحرارة في أحد الاسطقسات لأنها إن كانت فيه فهو يحتاج ضرورة الى أن يتحرك هو والاسطقس الآخر في المكان حتى تلاقيا فإن اللقاء يتقدم الامتزاج . فان كان المحرك لهما أو لأحدهما لم يحرك لأجل الامتزاج فهو امتزاج بالعرض .

---

(١) قارن أرسطو : Arist : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 32 ؛ وبيّن ابن باجة في الآثار ورقة ٦٨ ب : « وكان كل مركب فمن بسائط أربعة ، وكان تركيبها على طريق التجاوز وقد يكون على طريق المزج » .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 6. 322 b 10 .

(٣) أيضاً I. 10. 328 b 15 — 25 .

(٤) أيضاً Arist. Meteo. IV. 2. 379 b 12; 25 — 30; 380 a 5, 11 sq .

(٥) ايضاً Meteo. IV. 2. 379 b 8 .

وقد يكون امتزاج وقد لا يكون (١) ، فإن الاسطقس البارد قد يكون من القلة في القوة بحيث لا يحرك الآخر الحار فيحركه الحار أو يحيله مثله . فيكون هذا تكوّناً (٢) لا امتزاجاً (٣) وقد يكون بحيث (٤) يحرك كل واحد منهما صاحبه غير انه لا يكون أبداً على نسبة واحدة فيحدث عن < ذلك > أنواع من الامتزاج . فلذلك متى كان الأمر جارياً على النظام احتيج ضرورة الى محرك من خارج ، وهو من التحريك هو تدبير فضرورة يحتاج الى مدبّر .

وفي هذا الصنف فيدخل الامتزاج الصناعي وهذا النحو من الامتزاج إنما يصير به أبداً الممتزج وسطاً في القوة بين ما امتزج منه . لأن المازج المحرك للممتزج على هذه الصفة إنما يوقف الممتزج في أحد المتوسطات ، وانما يصير الممتزج أشياء متوسطة مجانسة للاسطقسات .

فأما المازج اذا كان الذي يمزج به حرارة فانها ان كانت مجانسة لحرارة

---

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ٨٢ ب : وكل فاعل ومنفعل وهيولاهما مشتركة فهما متضادان ضرورة فلذلك كل واحد منهما يحرك صاحبه وهو يتحرك ، فالفعل والانفعال لا يكون حتى يماس ، وقد يكون اختلاط وقد لا يكون ، راجع أرسطو : De Gen. Cor, I. 6. 322 b 22; 10. 327 b 23 sq.

(٢) المخطوطة : تكوّن .

(٣) قد فرّق ابن باجة بين « التكون » و « الامتزاج » وقال : ورقة ٧٦ ب : « ان كل متكون فهو من اسطقس أو من أكثر من اسطقس ، فان الاسطقس الواحد انما يتكون عنه اسطقس غيره كالنار تتولد منه سائر الثلاثة كما قيل في كتاب الكون والفساد ، وأما من اثنين فقد يكون منهما اسطقس آخر كما قيل في كتاب الكون ، وذلك اذا فسد المجتمع بفساد قوة كل واحد منهما أو فساد قوة أحدهما ، وأمّا اذا فسدت النهايات وبقيت القوى بالفعل لكن ليست خالصة بل حدث فيها قوة مركبة متوسطة وذلك ما داما مختلطين فعند ذلك يحدث عنهما موجود آخر وصورة أخرى ويمكن أن يحدث في هذه صور كثيرة بضروب من التركيب وضروب من الاستحالة تتبعها ضروب من التكونات .

(٤) المخطوطة : بحسب .

الاسطقسات فانه يكون عنه شيء شبيه بالطبخ فيعرض عنه الأجسام المعدنية [١] ، إذا اتفقت المادة ملاءمة [٢] للشيء المنطبخ . وهذا النحو من الامتزاج يشبه الامتزاج الصناعي الذي يستعمل النار ، مثل الجزء الممتزج من الأرض والماء . في هذا الامتزاج يظهر أشياء ليست الاسطقسات كالتماسك والانطراق [٣] ، كما يعرض ذلك في الذهب ، وفي مثل هذا العرض الأراييح والطعوم والألوان المختلفة ، وبالجملة ، فالأحوال الجسمانية وهي التي توجد شايعة في الجسم ، وتنقسم بانقسامه . وهذا يلزم ضرورة أن تكون متشابهة الأجزاء فإن الطبخ في هذه قد يكون . وهذا نوع من الامتزاج ليس كالأول . ولذلك لا يوجد عن الحركة المستديرة جسم معدني [٤] ، وبالجملة جسم متشابه الأجزاء إلا في مواضع مخصوصة بها فان <الأجسام> المعدنية لا توجد <إلا> عن المعدن . والمعدن هو مكان في جوف الأرض يتكون فيه جسم متشابه الأجزاء من بخار ودخان ينحصر فيه ليكاثف ذلك الجزء من الأرض فينضج بالحرارة الموجودة في ذلك الجزء بعينه [٥] . ولذلك لا يكون في المواضع الثلاثة المعدودة في كتاب الآثار العلوية جسم آلي أصلا .

فالأشياء الحادثة عن الامتزاج الموجودة بهذا (ورقة ١٥٣ الف) النحو من التعفن إنما توجد متباينة الاسطقسات [٦] . وكل هذه إمّا صورة طبيعية أو اعراض في أجسام طبيعية وتوجد في حدود المحرك القريب .

أمّا المؤتلف من الاسطقسات الذي يكون المحرك فيه الأجرام السماوية ،

---

(١) قارن أرسطو : Arist : Meteo. III. 6. 378 a 18 sq. .

(٢) المخطوطة : الملاءة .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٢ ب : كالانطراق والصبر على النار .

(٤) المخطوطة : معدى .

(٥) قارن أرسطو : Arist : Meteo. : IV. 10. 388 a 13 sq. .

(٦) ارسطو : Arist. : Meteo. I. 379 b 5 .

وبالجملة فالمحرك فيما يتحرك بحركة المكان فيعرض عنه الالتقاء ، فالمحرك القريب والبعيد فيه واحدٌ وهو الجرم المستدير لما يحرّك بالطبع وبالذات . وأمّا في الموجود عن النضج فالمحرك القريب فيه هو الحرارة التي بها وقع النضج ، والبعيد هو الجرم المتحرك دورا . فلذلك يوجد في الموجود عن نضج المحرك القريب من الاسطقسات ، إمّا واحد منها ، وهو النار ، وإمّا مؤتلف من نار . وهذه كلها محسوسات ، إمّا أوَل فكالألوان ، وإمّا ثوانٍ ، فكالأطوال والأشكال وصور الجواهر الطبيعية . وهذه كلها أشياء موجودة في المواد ، واذا وجدت في المواد صارت هي والمواد واحدة بالعدد متغايرة بالقوة على ما قلنا قبل (١) .

وليس لشيء من هذه أن تكون حسّاسة . والمادة الأولى هي كل واحدة من هذه بالقوة . وكل ما يصير مع المادة واحداً فهو لها إمّا أولاً وإمّا ثانياً وإمّا ثالثاً . والتي لها بالذات فتلك الصور هي جواهر ضرورة لأن سائر ما يوجد منها فانما هي تابعة لصور الجواهر ولذلك احتاجت عند الكون الى الاستحالة . فان المادة ليست شيئاً أصلاً بالفعل (٢) . والمتغير فهو ضرورة موجودة بالفعل شيئاً ما ، فلذلك كان بالضرورة عندما يتحرك موجوداً فيحتاج الى الصورة (٣) ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي <هي> فيه . ويعرض عن ذلك التغير في الصورة كما يعرض في الحركة في المكان تبدل الأوضاع . فان الحركة لم تكن في الوضع لكن عرض عنها الوضع . ولو تحرك في الصورة لكانت المادة هي المتحركة بذاتها (٤) فكانت تكون شيئاً ما . وأمّا

---

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب ، .... ويتغايران بالقوة ؛ ارسطو ؛ Arist. ; Met.. 9 IX. 1050 a 15 .

(٢) فالمادة في كل جسم تضطر الى صورة لوجودها ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : فالمادة في كل جسم يحتاج الخ .

(٣) فان الصورة تتغير ضرورة بالعرض ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : ... الا انها غير بالضرورة ؛ ورقة ١٥٣ الف : فتتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٤) فان المادة نفسها ذات الصورة أو موضوعها .

في الاستحالة فان المادة تتحرك بالعرض ٠

وكل ما يوجد في الأجسام الطبيعية اسطقساً كان أو معدنياً فكله هيولانية [(١)] متحدة بها كما قلنا ٠ وأمّا في النبات والحيوان فانها توجد فيها [(٢)] الأحوال الهيولانية [(٣)] التي للاسطقسات كالأحوال [(٤)] الهيولانية التي هي من نضج ٠ وهذه الأحوال توجد [(٥)] المتشابه الأجزاء التي منها ٠ وتوجد لها أحوال أخر ليست للاسطقسات ولا من نضج يكون عن الاسطقسات ٠ وهي الخلقة وذلك بين في أكثر النباتات ، وهو في الحيوان أبين ، فوجودها أجزاء متشابهة عن وجودها آلات ٠

والمحرك للمادة هذا التحريك وهو الذي يفيد الخلقة جنس آخر من المحركات ٠ وهـذا ظاهر بأيسر (ورقة ١٥٢ ب) التأمل ٠ وليس ذلك المحرك هو الحركة المستديرة وإن لم يحرك خلواً عنها كما بين في ثامنة السماع [(٦)] ٠ لكن انما يطلب المحرك المتحرك الذاتي الأخص وهو القريب ٠

---

(١) المخطوطة : هيولانة .

(٢) المخطوطة : فيها .

(٣) والأحوال الهيولانيـــة أشير اليـــا في أقوال ارسطو في مواضع : Meteo. IV. 2. 379 b 12 : « the conextion is due to heat; its species are ripening, boiling, broiling ... » ; Ibid, 25 : « In some cases of concoction the end of the process is the nature of the thing nature, that is, in the sense of the formal cause and essence ... » .

(٤) المخطوطة : لاحوال .

(٥) المخطوطة : توجب ، وبالهامش توجد .

(٦) ويظهر أن أرسطو لم يقل واضحاً في الثامنة من السماع ان المحرك لا يخلو عن الحركة المستديرة ، ولكنه أثبت حركة متصلة لا تنتهي ، وقال انها حركة مستديرة ، راجع Phys. : VIII, 8 . وقد أشار ابن باجة الى هذه الحركة (المستديرة) المتصلة في شرحه الثامنة وقال : ورقة ٦٣ ب : والحركة التي يذكرها أرسطو في هذه المقالة الثامنة حين يقول : الا أن بعض هذه توجـد في الحركة السماوية وهي الحركة بالعرض من غير . قارن أرسطو : Arist.. De Caelo. I. 2. 269 a 7

فهذا المحرك ليس هو الحرارة المنضجة ، ولكن الحرارة المنضجة هي آلته ، ولذلك تتبع هذه الأجسام الطعوم والأراييح وسائر الأعراض اللاحقة عن النضج . وأما كيف تلحق عنها فقد تبين في الرابعة من الآثار العلوية (١) فهذه ضرورة تفيد الخلقة .

وما له مثل هذا المبدأ عندما يتحرك (٢) فالمحرك فيه يلزم ضرورة أن يكون عقلا . لكن هذا القول أليق بتكوّن ذوات الأنفس وقد تلخص في السابعة عشر من كتاب الحيوان (٣) .

وما له هذا المبدأ جنسان : جنس تقترن به آلته التي (٤) بها يحرك مثل الحيوان المتناسل . وهذا يكون بزرا ، فإن البزر هو جسم مكوّن لذي النفس . وبيّن ان حرارته فيه التي بها يفعل . ومنه صنف آلته التي بها يحرّك في غيره . وهذا يكون للحيوانات التي يقال لها أنها تتكون من تلقائها . والآلة التي لمثل هذا هي حرارة العفونة أو حرارة غيرها . وهذا يشبه الصناعة الفاعلة بوجه مّا ، إذ كانت آلات الصناعة خارجة عن الجسم الذي توجد له الصناعة . فلذلك يحرك بتحريك الاسطقسات ويمزج .

ولا يزال هذا الحار يحرك الأرض الممتزجة بالماء حتى اذا بلغت الجملة الى الحال التي بها تقبل تلك الصورة قبلتها عند ذلك . وظاهر أن عند بدء الحركة تبدأ قبول الصورة ، وان القبول والتحرك يتساوقان . والنفس اذا كمل قبل صورة الممتزج فقبلها بالمزاج الذي له .

---

(١) قارن أرسطو : Arist : Meteo. IV. 2. 379 b 18 .

(٢) بالهامش : يتكون .

(٣) راجع أرسطو : Phys. VII. 3. 227 b 1 ; De An. I. 3. 407 a 33 . أيضـا ، De Gen. An. II. 3. 736 b 22 sq. ; 737 a 9 .

(٤) المخطوطة : والتي .

والصورة التي تقبلها الممتزجات إمّا ان لا تحرّك شيئًا بالذات بل تقبل وذلك مثل صور المعدنيات • وهذه أيضًا تتقدم في الهيولى ما يوجد فيها عنهـــا مثل الأحوال التي تخص الذهب من جهة أنه ذهب كالانطراق والصبر على النار • ومنها ما يتحرك بها الجسم الذي هي فيه حركة تخصه كنفس النبات • فان المادة متى قبلت صورة المسدود حركت ذلك الجسم معا ، فها هنا ضرورة قوى هيولانية بعضها بعيدة كقوة الاسطقسات • وبعضها قريبة كقوة الممتزج ، وقوة هذه إنما توجد أبدًا مقترنة بالصورة ، فهي أبدًا موضوعة • ولذلك ليس لذي النفس مقابل ، إذ ليس لها عدم خاص • وإنما يوجد عدم تلك الصورة كأنك قلت « صورة النخلة » • منها < ما > يوجد فيه الهيولى البعيدة كما يقال في الماء « الأحرّ » •

فأمّا القوة القريبة فليست [(١)] توجد خلوًا من الصورة لأنها موضوع أبدًا ولا تفارق أصلاً • ولذلك يشبه (ورقة ١٥٣ الف) أن تكون صور المعدنية في موادها إذ لم تكن لها أضداد ولا أعدام مقابلة كمقابلة العدم للملكة •

ففي أمثال هذه تكون صورة المزاج هي ماهية ذلك الجسم كالذهب مثلا • فإن الممتزج هو مادة والوجود لها هو ذلك النوع من التماسك • وظاهر أن ذلك التماسك هو في هيولى قريبة وهي موجودة في الممتزج كالصورة للمزاج • ثم قبلت تلك الهيولى ذلك التماسك لكنه لما لم توجد الهيولى مفارقة لتلك الصورة أصلاً كان أبدًا المجموع منها كشيء واحد ، والهيولى إنما ظهر وجودها عند التغير • وكل هذه هي صور في الهيولى يصير بها المجتمع شيئًا واحدا ، لأن هذا هو معنى قبول الهيولى للصور الحادثة فيها [(٢)] فأما اذا كانت [(٣)] الصورة

---

(١) المخطوطة : فليس •

(٢) والاّ فالمادة هي صورة محضة غير مدركة ، أو مادة لم تتصور بالفعل ، انظر زيلر : Zeller : Arist. II. p. 339

(٣) المخطوطة : كان .

قد غايرت وذلك إنما هو بأن تفارق نحوا من المفارقة فحينئذ تكون مغايرة للهيولى .

فإن كانت هذه المغايرة مما يحدث فيلزم ضرورة أن يكون عن تغير متقدم إمّا فيها وإمّا في موضوع آخر (١) على ما تبين في ثامنة السماع (٢) .

لكن الصورة لا يمكن أن تتغير إذ كل متغير منقسم (٣) ، وهي غير ذات أجزاء (٤) ، وليست بجسم . فلذلك (٥) بتغير شيء آخر . فتصير بذلك التغير من تلك الصورة على نسبة محدودة . فتتغير الصورة لذلك بالعرض (٦) ، ويكون تغيرها في الآن كما يعرض لما هو مضاف . فإن آبَ إن لم يكن ضعفاً لِـجَ دَ وكان أ أكبر ، فإن جَ دَ إذن إنما صار نصفا ، وصار آبَ ضعفاً من غير أن يتغير آبَ في نفسه ، بل يبقى على حاله التي كان <عليها> ، لكن يتغير من نسبة الى نسبة .

وكل تغير على ما تبين في الثامنة (٧) فهو إمّا في الكم وإمّا في الكيف أو في الأين أو بتابع (٨) لأحد هذه . لكن متى غايرت الصورة المادة فقد وجدت بالفعل تلك الصورة وهي ما هي متحازة بوجود يخصها (٩) ، وهي غير

---

(١) راجع النص ورقة ١٤٩ ب : ... أو كان لها موضوع — ....

(٢) قارن ابن باجة : ورقة ٦٤ الف : والتغير سيتبعه تغير إذ ينزل هذا التغير منزلة التغير المفروض . أيضاً ورقة ٥٧ الف : فيكون قبل كل تغير مفروض تغير يتقدم من ذلك النوع . وراجع أرسطو : Arist. : Phys. VIII, 2. 252 b 9 .

(٣) قال أرسطو : كل ما يتغير ينقسم . راجع : Arist. ; Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : لأنها غير منقسمة ....

(٥) المخطوطة : ، كذلك .

(٦) أيضاً ، ورقة ١٤٩ الف : .... كان لها التغير بالعرض ؛ ورقة ١٥٢ الف : ويتغير في العرض .

(٧) أيضاً ، ورقة ١٤٣ الف : كما تبين ذلك في الثامنة الخ .

(٨) المخطوطة : مابع .

(٩) أيضاً ، آخر ورقة ١٤٦ الف : متمازة بنفسها الخ . ورقة ١٥٠ ب : وجود الصورة التي يخصها ..

ما كانت عند وجودها في المادة القابلة لها . فان كانت موجودة[1] لم تتكون لزم عن ذلك محال ، وهو أن تكون صورة المشار اليه قبل وجوده ، إمّا في الحسّ والتخيل وذلك غير ممكن ، وإمّا في العقل فقد يظن أن ذلك ممكن ، لكن سنبين هذا عندما نفحص عن القوة الناطقة .

فبيّن أن الإحساس حادث . وكل حادث فهو بالقوة قبل أن يحدث . فكيف يمكن أن يكون الإحساس صورة مفارقة ويكون حادثةً ، لأن الحدوث إنما هو من قبل الهيولى ؟

فنقول : إن قولنا « هيولى » في القوة النفسانية وفي قوى الجسم باشتراك ، فإن الهيولى وجودها في الأجسام على أنها تتشكل بتلك الصورة ويصيران (ورقة ١٥٣ أ) شيئاً واحداً يستفعل الفعل الذي في طباع ذلك الموجود ان يفعله كما تبين قبل هذا . وقولنا هنا « هيولى » إنما نعني به قبول المعنى وهو الذي يكون به الجسم الذي له مثل هذه القوة حسّاسا ، فإن القوة الهيولانية والقوة التي هي نفس ، كلاهما يقبلان اللون ، واللون في الهيولى هو صورة ، وهو والهيولى شيء واحد ، لا وجود لذلك اللون محضةً أصلاً . واللون في القوة الحساسة موجود بما يخصه . قد فارق هيولاه وصار شيئاً مشاراً اليه . ولذلك لم يمكن ان يقبل الهيولى المتضادين كالبياض والسواد المتغايرين فانهما[2] لو قبلتها[3] لكانا فيها متغايرين ، ولا تغاير بينهما أصلا ، وهما متغايران ذاتا[4] ، فانهما صورتان في ذات أحدهما ، أو كلتاهما[5] مغايرة إحداهما للأخرى ، فلذلك

---

(١) أيضاً ، ورقة ١٥٠ ب : فان وجدت الخ .

(٢) المخطوطة : فانها .

(٣) المخطوطة : قبلها .

(٤) المخطوطة : داءا .

(٥) المخطوطة : كلاهما .

لا يمكن وجودهما[1] الا على نحوين . أما في موضوعين ، فإن ذلك ممكن ، وأما أن كانا في موضوع واحد ففي وقتين من غير أن يجتمعا معاً في موضوع واحد . ولما كانا في القوة الحسّاسة موجودين مفارقين لم يمتنع وجودهما معا ؛ وانما يستحيل وجودهما في موضوع واحد معا ، وليس انما يوجدان معاً في الجنس ، وبالجملة ففي قوى النفس ، بل قد يوجد ذلك في الهيولى في الألوان فقط . فإن الهواء الواحد بعينه الكائن بين الأبيض والأسود معا ، وذلك ان صورهما ليست في الهواء على ما هي الصورة في المادة بل بنحو متوسط بين القبول الهيولاني وبين قبول القوة النفسانية .

ولما كانت القوى إنما تحد بنسب الموضوع الى الملكة وبذلك تتميز قوة قوة في ذاتها ، فالقوة الحساسة هي الاستعداد الذي في الحاسة ، الذي يصير معنى ذلك المدرَك . والفرق بين المعنى والصورة[2] ان الصورة تصير مع الهيولى شيئاً واحدا ولا يكون هنالك مغايرة . ومعنى المدرك هو صورة منفردة عن المادة[3] . فالمعنى هو الصورة المنفردة عن المادة . فقبول[4] قوة[5] النفس معنى يجب أن يكون قبولاً له وهو معنىً فالقابل هو معنى ما بالقوة . وكذلك

(١) المخطوطة : وجود ما .

(٢) وابن سينا ميّز بين الصورة والمعنى فقال : (شفا ، ورقة ١٨٢ ب ١١) : وقد جردت المادة بأن يسمى مدرك الحس صورة ومدرك الوهم معنى .

(٣) وأوضح ابن سينا معنى الإدراك فقال (شفا ، ورقة ١٦٣ ب ٩) : « يشبه أن يكون كل إدراك هو أخذ صورة المدرك بنحو من الأنحاء ، فان كان الإدراك ادراكاً لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المادة تجريداً ما ، إلا ان أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فان الصورة المادية يعرض لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة ، فتارة يكون النزع عن المادة نزعاً مع تلك العلايق كلها أو بعضها ، وتارة يكون النزع نزعاً كاملا وذلك بأن يجرد المعنى عن المادة وعن اللواحق التي لها من جهة المادة » .

(٤) المخطوطة : فنقول .

(٥) المخطوطة : قوي ، وبالهامش ، قوة .

ليس إدراك النفس انفعالاً بوجه . وأمّا هل يكون بانفعال فستبين بعد هذا . فالمنفعل قد يظن به أنه يقبل الصورة فقط ، وأن الحار بالقوة إذا صار حاراً بالفعل فلم يقبل معنى الكاين في المحرك ، والأشياء منه على ما قلناه قبل [1] . وإنما قبل حرّاً آخر فصار حاراً آخر شبيهاً بالأول ولا نسبة بين الحر الموجود في أحدهما الى الآخر بوجه . وانما النسبة التي بينهما هي أن صورتها إذا تجردت كانت واحدة بالعدد . والمغايرة التي بين صورتيهما الشخصية ـ إن جاز أن يقال لشخص الحر صورة ـ فإنه لا تغاير بينهما وبين (ورقة ١٥٤ الف) الهيولى عندما يكون شخصا ، وقد لخص هذا في غير هذا الموضع [2] . ولذلك حر أحدهما ليس معنى «حرّ» أن يكون مع الهيولى فيكون شخص [الحرّ] بعينه في النفس .

ولما كان معنى الشيء هو الشيء وكان معنى الشيء هو ما وجوده بالفعل ، ولذلك اذا حصل عندنا معنى شخص ما كان عندنا أن ذلك الشخص قد أدركناه بتلك القوى التي < هي > لنا .

وظاهر أن الإدراكات الحاصلة من الموجودات الهيولانية حادثة ، فانها إن لم تكن حادثة فهي أزلية . فإن كانت أزلية لزم من ذلك أن يكون ضرورة «زيد» قبل «زيد» ، وهذا الحار [3] قبل هذا الحار . ولزم أيضاً أن تكون متحركة في المكان ، إلى غير ذلك من المحالات اللازمة .

---

(١) أي الأشياء من المحرك ، لعل ابن باجة يريد ما قال ان الصناعة من المحرك (راجع النص ورقة ١٣٩ الف ، منه أو هو الصناعة .) أو يريد ما قال : ان القوة المحركة .... تفعل بالذات وأولا ما هو من نوعها ، وتفعل ثانياً وبالعرض شيئاً آخر (راجع النص ، ورقة ، والقوة المحركة فانها تفعل بالذات واولا الخ) والمعنى ان الأشياء من المحرك ، وإلا لم يقل ابن باجة بهذه الألفاظ في هذا الكتاب .

(٢) الظاهر ان المصنف أشار الى ما قال ان المادة غير منحازة بالفعل عن الصورة كما ان الصورة غير منحازة عن المادة بالفعل (النص ورقة ١٤٦ الف) .

(٣) المخطوطة : الحر .

وأيضاً فمن الأمور الذائعة ان الاحساسات حادثة وهو متيقن عندما نتأمل أيسر تأمل . وكل حادث فقد كان ممكناً وجوده قبل أن يوجد ، والإمكان والقوة على ما قلنا قبل [1] متلازمان . فهذه القوة هي في هيولى ضرورة ، وهذه الهيولى هي هيولى لمثل هذا الوجود . وقد جرت العادة أن تسمى روحانيا [2] [3] وغير جسماني وما أشبه هذه الألفاظ من الدلالة ولذلك لا تصير مع الادراك جسما ، لأن الجسم إنما يكون متى كانت الصورة غير مغايرة أصلاً ، وذلك أن تكون موجودة غير مجردة .

وقد يسأل سائل عن الإدراكات فيقول : هل هي في الهيولى التي لها مغايرة لها . فإن كان ذلك فالهيولى موجودة بالفعل وليست هيولى . وكيف يتصل ما ليس بجسم بما هو جسم الا بأن تكون صورة فيه . وإن لم يكن مغايرة ما والأمر فيها مثل وجودها في الهيولى لم تكن مجردة .

فنقول : أما ان الادراكات في موضوع فذلك بيّن . لأنه لو لم يكن في موضوع لما كانت كاينة . وامّا انها والموضوع شيء واحد فذلك أنهـا كذلك ، وبذلك صار الإدراك شخصاً . فإنها لو كانت غير الموضوع جملة لكانت نوعاً أو عقلاً . وسنبين ذلك إذا صرنا إلى القول في القوة الناطقة ، لأن القول هنا هو في النفس وقواها .

وامّا ان الصورة يلزم عمّا وضع أن تكون غير موجودة مغايرة للهيولى

---

(١) راجع النص ، ورقة ١٤٣ الف : فلذلك تلازما الخ .

(٢) « الروحاني » عند المتفلسفين منسوب الى الروح ، ويدلّون به على الجواهر الساكنة المحركة لسواها ، وهذه ضرورة ليست أجساما ، بل هي صور لأجسام ، وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب في الصنف الذي جاء على غير قياس عند نحويّ العرب ؛ فان المقيسة عندهم أن يقال روحي .... تدبير المتوحد ، نشر آسين ، ص ١٨ .

(٣) المخطوطة : روحاني .

فذلك غير لازم عما وضع . لكن يقتضي التشكيك أن يجري للوجود فيها [١] تغير وذلك ان الهيولى كما قلنا قبل انما هي موجودة بالنسبة الى ما هي هيولى له . والقوة على الإدراك هي قبول الصورة مجازة بوجود يخصها . فهيولى الإدراك مطبوعة على قبول معاني المدركات ، ومحركها المدرك من جهة ما هو مدرك . فإن هذه < الصور > الهيولانية بيّنٌ من أمرها أن لها في ذواتها وهي هيولانية هذه القوة ، وهذا التحريك هو لها من أجل وجودها الخاص . ولذلك توجد هذه في الفاعلة منها كالحرارة والبرودة (ورقة ١٥٤ ب) وفي المنفعلة كالصلابة واللين . وانّ ما يحرك الحركة المنسوبة الى الانفعال فانما يحركه أيضاً وهو في موضوع ويحرك هيولى أخرى من نوع الهيولى التي هي فيه . ونسبتها إلى ذلك المعنى نسبة الهيولى التي في ذلك المحرك الى الصورة بعينها في النوع . وهيولى الإدراك نسبتها الى الصورة نسبة أخرى تخصها ، فلذلك هي هيولى باشتراك الاسم . وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتقديم وإنما يقال لهذه هيولى بالتأخير ، وعلى طريق النسبة بالمحسوس المحرك كالحار والبارد .

فله أوّلاً نوعان من التحريك لصنفين من الهيولى أحدهما [٢] للهيولى [٣] من نوع هيولاه ، والآخر لهذه الهيولى التي بها يكون محسوسا . وهذا التحريك هو لذي الجسم لا من حيث أنه ذلك الجسم . ولذلك [٤] إدراك الجسم الصغير والكبير واحد [٥] لا سيّما التخيل ، وسنبين لِمَ كان ذاك فيما بعد .

---

(١) المخطوطة : ممننا .
(٢) المخطوطة : احداهما .
(٣) المخطوطة : الهيولى .
(٤) المخطوطة : وكذلك .
(٥) وهذا ما سرده ابن رشد (كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ وحيدراباد ، ص ٦٩) : وتخص الصورة الحسية انها منقسمة بانقسام الهيولى بالمعنى الذي به تنقسم الصور المزاجية ، ولذلك أمكن فيها ان تقبل المتضادين معاً . والصغير والكبير على حالة واحدة .

وإنما يتفاضل الإدراك من جهة أنه شديد أو ضعيف .

فقد قلنا ما القوة المدركة في الجملة . وهذه القوة هي نفس موجودة في الجسم المتنفس وهي [1] صورة مزاج المتنفس . والجسم الممتزج الذي له هـذه القوة هو متنفس وحي .

ولما كان كلّ تكوّن فهو امّا تغير أو تابع لتغير على ما تبين في السماع [2] وجب أن يكون الإدراك كذلك . ولما كان كل متغير فهـو ينقسم [3] ، وهذا ليس منقسم لزم ضرورة أن تكون هذه القوة مقترنة بجسم إمّا بنفسها أو بتوسط مقترن .

والادراكات النفسانية جنسان — حس وتخيل . ولا يمكن أن يتخيل ما لم يحسّ ولذلك [4] لا يمكن أن يتخيل اللون ، فالحس يتقدم بالطبع التخيلَ لأنه كالمادة للتخيل . فالحس هو أول إدراك مقترن بالجسم فواجب ضرورة أن لا يكون حس دون تخيل ، إلاّ ان التغير ليس في المحسوس . والتغير صورة الحاس فالحاس ضرورة جسم صورته القوة الحاسة . فالحس بالجملة هو قوة لجسم ينفعل عن المحسوس يقترن بكماله كال القوة النفسانية التي <هي> فيه . ولذلك يلزم ضرورة أن يكون المحسوس مخيّلا والحاس متخيلا [5] . فلذلك الحر والبرد محسوسان بأنفسها [6] وأوّلا . وأمّا الصلابة واللين والخشونة والملاسة فسنبين أمرها في القول على القوة اللمسية ، فهذا هو القول في الحس بالجملة .

---

(١) المخطوطة : هو .

(٢) وابن باجة بيّن معنى « تابع لتغير » بألفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب : « ويكون النسب تغير تابع لتغير المالك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) قارن أرسطو : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) المخطوطة : مستحيلا .

(٦) المخطوطة : بانفسها .

ولما [1] كان ليس كل قوة تحرك كل جسم ، وكانت الحركات كثيرة كانت الحواس كثيرة معادة للحركات . ولما كان التحريك الذي به الحس إنما هو من أجل المعنى . والمعنى قوامه من أشياء كثيرة ، لذلك لزم ضرورة أن ترتسم (ورقه ١٥٥ الف) في الحس تلك المعاني غير منفصلة بعضها من بعض .

ولما كان ما به قوام الشيء إما مشتركة وأما خاصة [2] . فالخاصة إنما تدرك بحاسة واحدة ، والمشتركة تدرك بالحواس التي يلحقها ذلك الأمر المشترك . فلذلك هو محسوس غير أول وهذا هو كالأطوال والأشكال .

ولما كان المعنى تلحقه أشياء أخر بالعرض لذلك لا ترتسم في الحاسة تلك الأشياء . هي محسوسة بالعرض كاللون فانه يقترن به أنه في الكاتب . فلذلك يقال ان الكاتب مبصر بالعرض . في هذه يغلط الحيوان الحاس [3] كثيراً . فأما وجود هذه القوة في الحيوان ، فقد قيل كيف ذلك في القول في تكون الحيوان وذلك في السادسة عشر من كتاب الحيوان [4] .

فهذا في الحس بالجملة .

والمحسوسات بالجملة كما قيل منها مشتركة ومنها خاصة . فالخاصة كما تبين ما انفعل عنها الحاسة . والعام [5] ما لم ينفعل عنه الحاسة . وإنما حصل بقوة عند حصول المعنى . ولذلك قيل ان المحسوسات المشتركة انما يدركها الحس المشترك

---

(١) المخطوطة : وكما .

(٢) أيضاً : Arist. : De An. II. 7. 418 a 15 sq. ؛ ابن رشد : كتاب النفس ص ٢٧ ، حيدراباد ص ٢٣ .

(٣) بالهامش : الحساس .

(٤) أيضاً : Arist. : De Gen. An. I. 23. 731 a 30 sq.

(٥) المخطوطة : العالم .

إذ لا تنفعل عنها الحاسة . إنما هي لتلك القوة <لا> لأنهـا هي مقترنة بالحاسة بل من أجل انها بالفعل . فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وانما تنفرد عن الحاسة اذا صارت شيئاً ما . وذلك بأن تدرك محسوساً ما . فالحاسة ضرورة الوجود في الحس على ما تبين قبل [1] . ولذلك لا يمكن أن تخلو [2] هذه القوة من المحسوسات جملةً . لأنها موجودة في الجسم . وانما المحال بأن توجد هذه مفارقة لا تقترن بجسم ، وهذا هو أحد المحالات التي لزمها التشكك المكتوب قبل هذا .

فلنقل في أصناف الحس .

---

(١) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : ووجوده محركاً ظاهر بنفسه والمتحرك هو الحاسة الخ .

(٢) المخطوطة تخلوا : .

الفصل الرابع

القول في البصر

وقد تبين فيما قد تقدم [١] ان النفس هي الاستكمال الأول الذي هيولاه المزاج . وأعني بقولي « الأول » [٢] كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ، والموسيقار [٣] <حين>ما لا يستعمل صناعة الموسيقى . والأخير مثل ما يقال في الموسيقار حين يستعمل اللحن . فإن الصنف <الأول> من الاستكمال أبداً هو كالهيولى للكمال الأخير ، ولذلك يحتاج ضرورة إلى شيء آخر يخرجه إلى الفعل وهو المحرّك ، لأن كل متحرك فله محرّك ، غير أن المحرّك [٤] في هذه يخفى والمحرّك في الحس ظاهر أمره كالذي يعرض في المرآة الصقيلة . (ورقة ١٥٥ ب) فإن الصقالة هي الكمال الأول فلذلك متى حضر المرئي ارتسمت فيها الصورة من غير أن تتغير هي الى وجود آخر تكون به أقرب كالذي يعرض في الحديد وهو حديد [٥] أنه استكمال أول . والاستكمال

---

(١) راجع النص ، آخر ورقة ١٣٩ ب واول ورقة ١٤٠ الف : والنفس هي الاستكمال الاول .

(٢) لقد صرح ارسطو ان الشيء يقال له باسمه اولا من حيث صورته وثانيا من حيث المادة ، انظر De An II, 2, 414 a 9 — 13 : والتعليق ٣٨ ، الفصل الاول .

(٣) المخطوطة : الموسيقى .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) فان الحديد بذاته ليس بصقيل ، وانما يصير مرآة بعد الصقل .

الأول بالجملة هو ما كان الجسم مستعداً لقبول شيء ما غير أن يتغير بالذات لا بالعرض ، فإن المرءاة قد تتغير مثل أن تنتقل الى مقابلة المرئي ٠

فقوة البصر هي استكمال أول للعين وهي النفس الباصرة ٠ وإذا أبصرت صارت بصراً وهذا هو اسمها من حيث هي[(١)] بالكمال الأخير ٠ وكذلك سايرها ٠ فإنها اذا انفردت وكانت قوة فقط كانت نفساً ٠ ولذلك يقال في الجنين ذو نفس[(٢)] وفي النائم ، واذا فعلت أفعالها كانت حساً ٠ فالقوة التي يكون بها البصر هي بالقوة المبصرات ٠

والمحسوسات كما قيل[(٣)] «أول» وهي الخاصة بحاسة حاسة ــ ومنها مشتركة ومنها بالعرض ٠

والمحسوس الأول للبصر هو اللون ، ولذلك لا يدركه إلا البصر ٠ ولذلك ما وجد فيه إدراك اللون فذلك العضو فيه بصر حيث كان وأي صورة كان ، فان الجسم يحد بغايته ، ولذلك لا يكون الصنم إنسانا ، ولا ما اتخذ من السمع سكينا اذا لم يفعل أفعال الأنواع المشاركة لها في الاسم[(٤)] ٠ ولذلك قيل ان العين يقال على عين الحي وعين الميت باشتراك لا بتواطؤ ٠

فالنفس الباصرة هي القوة الموجودة في العين التي تدرك بها اللون ٠ وهي

---

(١) المخطوطة : هو ، وبالهامش : هي .

(٢) ان الجنين له نفس نباتية كما يظهر من اقوال ابن باجة الآتية : ورقة ٢١٦ ب (رسالة الاتصال ، الاندلس ، ميدرد ، ج ٧ ، ١٩٤٢ م ، ص ١٢ .) وذلك في الزمان الذي يحتوي عليه الرحم ، فانه يتخلق اولا فاذا كمل تخلقه اغتذى ونمى (= نما) .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٥ الف : « منها خاصة ومنها مشتركة » .

(٤) المخطوطة : الجسم ، وبالهامش : الاسم . قـارن ارسطو : Arist. : Meteo IV. 12. 390 a 10; De An. ii.I. 412 b 12 — 21; 8. 420 b 1; De Gen. Anim. ii. I. 735 a 8

في الرطوبة الجليدية [١] . وذلك بيّن من العوارض التي تعرض لمن ينزل الماء في عينيه . فلذلك يجب أن نفحص عن اللون ما هو ؟

فنقول : إن اللون لا يمكن إدراكه إلا بتوسط الهواء . ولذلك لو وضع اللون على البصر لما أدركه [٢] . ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر في إدراكه إلاّ مع الضوء [٣] ، إما لأن الألوان في الظلام بالقوة ولا وجود لهـا ، أو لأن الهواء إنما يقبل الألوان بالبصر الذي تكون فيه .

أما ان اللون في الظلام فذلك بيّن عند تأمل الألوان في الظل ، وفي الشمس ، وفي الحال التي تعرض للنبات عند مرور السحاب عليه حايلاً بينه وبين الشمس ؛ فإن ألوانها تختلف اختلافاً شديداً . وقد تلخص ذلك في الحس والمحسوس [٤] ، فالواجب أن نتقدم [٥] فنلخص أي شيء هو ؟

(١) لعل الحق مع ابن باجة حين يقول : ان القوة الباصرة في الرطوبة الجليدية التي هي آلة البصر عند اليونانيين (مايرهوف ، Mayerhof ، المقالات العشر في العين لحنين بن اسحاق ، ص ١٢٠ : واما آلة البصر وهي الرطوبة الجليدية .) اما ابن سينا فانه يقول ان هذه القوة هي في العصبة المجوفة (انظر ، فضل الرحمن Avicenna's Psychology ، ص ٢٦ . والشفاء مخطوط بودليانا ، بوكك Poc ١٢٥ ، ورقة ١٦٠ ب : فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام .) . ولقد صرح حنين ان قوة البصر تنبعث من الدماغ في العصبة المجوفة ، المقالات العشر في العين المنسوب لحنين ، ص ١٢٠ .

(٢) قارن ارسطو : Arist. ; De An. : *II*. 7. 419 a 13; *II*. 423 b 20

(٣) ما قال ارسطو قط ان الهواء تخدم البصر ، ولكنّه بيّن ان الماء والهواء شفافان يحتويان على جوهر مضيء كأن الضوء هو لون الشفاف ، راجع De An. : *II*. 7. 418 b 1 — 12

(٤) يصف ارسطو ان انواعا من الالوان تعرض لمن يرى الشمس مغطاة بالضباب او الدخان ، فترى كأنها بيضاء قد اختلطت بالحمرة ، راجع Arist. : De Sensu : 3 440 a 7 . وابن رشد قريب من ابن باجة في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني : ص ٣٣ ، وحيدر اباد ، ص ٢٩ .

(٥) المخطوطة : يجب ان لتقدم .

والمضيء هو مفيد الضوء ، والمستضيء هو الذي فيه الضوء ـ والضوء هو كمال المستضيء من جهة ما هو مستضيء .

والمضيء يقال على نحوين[(١)] : تقديم (ورقة ١٥٦ الف) وتأخير . فالأول هو المعنى الذي نظن أن الشمس تشترك فيه مع النار . والمقول بتأخير[(٢)] هو الذي يضيء بأن يستضيء . وذلك بأن ينعكس الضوء عنه ، كما يعرض في القمر وفي الأجسام الصقيلة . وهذه أصناف . أما أن يكون ذلك بحيث <لا> يقدر أن يجعل غيره مرئياً[(٣)] فهذه[(٤)] أصناف الأرضيات كالمرئي في الماء عند وقوع المجاديف بالليل ، وفي قشر بعض السمك ، ونار الحباحب ، وهذه ليست ألوانا[(٥)] ولكنها انفعالات في العين ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع .

---

(١) والظاهر ان ابن رشد اتبع ابن باجة في قوله « ان المضيء على نحوين : تقديم وتأخير » . أما ارسطو فانه لم يصرح بهذا التقسيم ، ولكنه ذكر في كتاب النفس (٤٢٨ و — ١٠ ، راجع تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ص ٣١) « ان الأجسام المضيئة تخرج من القوة إلى الفعل بتأثير النار ، او شيء شبيه بالأجسام العلوية ، ولعل اصطلاح « شيء شبيه بالأجسام العلوية » ظهر في قول ابن رشد « بالجسم الالهي » ، وفي شرح القديس توماس الاكويني « بالاجسام العلوية » . وقد صرح ابن باجة هـذا الجسم حين ذكر الشمس . راجع اوسطو : De An ii 7. 418 b 12

(٢) المخطوطة : بتاخر .

(٣) المخطوطة : قريبا . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 3 . وابن رشد قريب من ابن باجة جدا في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ، ص ٣١ ، حيدر اباد ص ٢٢ .

(٤) المخطوطة : وهذه .

(٥) انظر أرسطو : De An. ii 7. 419 a 1—5 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ص ٣٢ ، حيدر اباد ص ٢٧ .

فالضوء إذن هو الذي يكون في الهواء عند حضور جسم له هذه الحال في المستضيء .

فأما هل الشمس هي تلك بعينها أم أثرها في المحيط بالحيوان ففي ذلك موضع فحص ، وعويص شديد حقاً . فإن الكائن في الماء يرى الشمس في بسيط الماء ويراها قريباً حتى يظن أنها في بسيط الماء . وكذلك يعرض لمن في شاطئ البحر عند الطلوع والغروب إذا اتفق كون بخار غليظ مرتفع من موضع قريب من الناظر أن يظن أن الشمس في سطح ذلك البخار ، ولذلك يراها كبيرة ويراها حمراء وصفراء . وأيضاً إذا نظرنا في النار وأحوالها التي بها تكون مضيئة وجدنا بها ان ذلك يكون بتوسط في الغلظ والرقة . وذلك بين فيما قيل [١] في النيازك وأذناب الكواكب . لكن الأمر على ما يقوله أرسطو في سابعة عشر الحيوان [٢] أن صورة النار مرئية [٣] حين وعدنا بالفحص عنها — فليترك إلى ذلك الموضع الذي يليق به أن يفحص عنه عن أمثال هذه الأمور .

والمقبول يلحقه دائماً لواحقُ في القابل ، ولذلك قيل : ع « كأنه ناظر في السيف بالطول » [٤] ، وكما يعرض في الأطوال ، وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال التعليمية [٥] ، وأعطيت أسبابها .

---

(١) وذكر أرسطو اسباب الشهاب الثاقب ، ومنظر الاحتراق وحقيقة المذنّب والمجرة في كتاب الآثار العلوية : Meteo. i, 5—6. 342 b 22 .

(٢) انظر أرسطو : De Gen. An. iii. II. 791 b 20 .

(٣) المخطوطة : قريبة .

(٤) وتمامه « ذاك الوزير الذي طالت علاوته كأنه ناظر في السيف بالطول » والبيت من قصيدة لأبي نواس نظمها في مدح جعفر بن يحيى البرمكي ، وما وجدته في الديوان . راجع كتاب الوزراء والكُتّاب لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، ١٩٣٨ م ، مصر ص ٢١٥ .

(٥) لعله تصنيف لابن باجة في الهندسة ، وقد فُقد .

وظاهر بيّن أن الذي يقبله الهواء من النار هو بسيطها إما أولاً أو بتوسط معنى فيه . وذلك المعنى ، إن قيل له « كون » فباشتراك .

ولما كان المتقابلان لا يوجدان معاً في موضوع واحد كالحر والبرد فمن هذه ما لا يوجدان في موضوع واحد بالاطلاق كالزوج والفرد فإن الخمسة لا تكون زوجاً أصلاً . ومنها ما لا يوجدان [١] في موضوع واحد في وقت واحد مثل الحار والبارد والعمى والبصر . ومنها ما يوجدان في موضوع واحد في وقت واحد وذلك في كثير من أنواع الإضافة ، منها أصناف الوضع المضاف كالتيامن والتياسر ، ولذلك لا يكون حدوث في موضوعاتها تغيراً (ورقة ١٥٧ ب) بل تابعاً لتغير [٢] . ويوجد في الآن [٣] ولا يكون في زمان أصلاً ، وقد تبين كيف ذلك في السماع .

والوضع فالمضاف منه بالذات وهو الذي بالطبيعة . والذي بالطبع كوضع بعض أعضاء الحيوان من بعض ، فلذلك تجد الطبيعة قد حصلت في كل واحد منها أو في أحدهما أمرا [٤] يتم بذلك الوضع . وما بالعرض ليس كذلك كوضع زيد من عمرو . والوضع على ما تلخص في السماع ، ليس من القوى الشائعة في الجسم [٥] ، فإن وضع آ من جب كوضعه من حد ، وأي

---

(١) المخطوطة : ومنها فلا يوجدان .

(٢) وابن باجة بيّن معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب : « ويكون فنسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) ولفظ « الآن » عند ابن باجة معناه « منتهى الحركة » ، ورقة ٢٩ الف : « فني الآن الذي هو منتهى الحركة » . ولكنّه ايضا صرّح بمعنى آخر فقال : ورقة ٢٩ ب ، « الآن الذي هو نهاية السكون ومبدأ الحركة او نهاية الحركة ومبدأ السكون » .

(٤) المخطوطة : أمر .

(٥) هذا مبني على ما قال ارسطو من أن اوضاع الحيوان واوصاف حركته ليست بمادية ، راجع : Phys. Viii, 4. 254 b 23

جزء أخذ من ~~جب~~ كان وضع آمنه ضرورة[1] ذلك الوضع بعينه .

والمضيء من المستضيء صورة ذو مضاف . والأجسام إنما تكون ذات وضع بالاطلاق ببسائطها المطيفة بها الخارجة . فلذلك تكون ذوات وضع بهذه البسائط .

والمضافات قد لا يوجد بين موضوعين منها شخصان من نوع واحد من الإضافة كالتوليد فإن المولِّد لا يكون مولَّداً للمولَّد له . وقد يكون بينهما شخصان من ذلك النوع كالتضارب والتصادق . والذي لا يوجد بينهما شخصان قد يكون نوع الاضافة التي[2] بينهما فصلها[3] من كليهما كتياً من حيوان من حيوان . فإنّ ~~ح~~ اذا كان متيامناً عن ~~ب~~ كان ~~ب~~ متياسرا[4] عن ~~ح~~[5] . لأنّ لكليهما اليمين واليسار . وأما ما ليس بحيوان فليس[6] كذلك ، فإن التيامن للجبل فليس بتياسر عن الجبل ، إذ ليس للجبل يمين ولا يسار إلاّ بالإقتياس .

والمضيء له إلى المستضيء وضعٌ مضافٌ ولذلك اذا حضَر وجب أن يكون ذلك له ، وقبوله ذلك الوضع منه بالطبع هو إضافة . والمنير ما له مثل هذه الطبيعة .

والإضافة من حيث هي إضافة فلا تنقسم بأقسام الجسم ، لأنّ الاضافة طبيعة عامة لما هو جسم ولما < هو > ليس بجسم . فلذلك قد لا تنقسم بأقسام الجسم بذاتها .

---

(١) المخطوطة : ضرورة .
(٢) المخطوطة : الذي .
(٣) المخطوطة : فصلها .
(٤) المخطوطة : متياسر .
(٥) المخطوطة : ~~د~~ .
(٦) المخطوطة : وليس .

ولما كانت الإنارة مضافة بين جسمين من طريق ما هي تلك الأجسام ، فإن لكل جزء من المنير عند جزء من المستنير تلك الإضافة — أمكن أو لا أمكن . ولذلك لا يضيء كل مستضيء فأيّ قدر ، كان قدراً واحداً من الإضافة ، بل قد لا يضيئه كله لكن يضيء ضرورةً ما يجاوره . وقد لخّص كيف ذلك في القول في انعكاس الأضواء (١) . فقد قلنا ما الضوء ، وما المستضيء ، وما المضيء .

وتبين بذلك كيف يوجد في الهواء الضوء من غير أن يوجد زمان ، وكيف يستضيء الهواء عن الشمس والسراج في قدر واحد من الزمان — إن قيل لذلك زمان — وتفاصل الأبعاد على ما هي عليه . وكيف يوجد الهواء الواحد يستضيء عن نيّرين ولا يبين أثره اذا تخالفا في الوضع . مثل أن يكون كل واحد (ورقة ١٥٧ الف) منهما على طرف ضلع المربع ويكون بينهما حاجز عن مستضيء ، فإن المركز وحده يستضيء بالضوءين معاً ، فإن لم ينعكس الشعاع لم يكن على استقامة قطر حال المضيء الذي على القطر الآخر . وكذلك لا يتبين لمن كان على وسط ضلع المربع حال واحد من المضيئين .

ولمّا كان اللون إنما هو على ما تبين في الحسّ والمحسوس (٢) باختلاط المستضيء بالجسم ذي اللون على الجهة رسمت هنالك كان اللون أيضاً مضيئاً بوجه ومحركاً للهواء (٣) . فاللون محرّك للمستضيء لكن من جهة ما هو مستضيء ، لأن المستضيء هو المحرّك لذلك اللون .

فأما كيف قيل إن اللون يحرك المشفّ بالفعل فذلك من جهة أن قبول اللون إنما هو من جهة ما هو مستضيء وقبول المضيء هو إضافة إضاءة . فتحريكه

---

(١) لعل ابن باجة يشير الى كتاب صنفه في انعكاس الضوء ، وقد فُقد .

(٢) راجع أوسطو : Arist : De Sensu iii. 440 b 1—18; 439 b II; De An. ii. 7. 419 a 14

(٣) المخطوطة : للهوى .

اياه إضاءة وإشفاق . وهنالك استبان خطأ من رأى (١) أن الإبصار كان بالخلاء (٢) ، أمكن لما يظهر الحس في الماء والهواء ، بل الأمر على عكس ما ظنه ديمقراطيس ، فإن الهواء لو ارتفع لارتفع الابصار جملةً .

وكما أن اللون لا يدرك دون ضوء (٣) ، فكذلك الضوء لا يدرك إلا مقترناً بلون . وذلك بين بما قلناه قبل (٤) .

فاللون هو البسيط ، والبسيط هو ذو شكل ضرورة ، فلذلك يدرك البصر الشكل والطول ، وبالجملة فكل ما يوجد في قوام اللون او قوام ما يكون به قوام اللون . فلذلك يدرك البصر الجواهر الموضوعة للألوان .

ولما كانت الأسباب منها قريبة ، وهي التي تخص الذاتية ، ومنهـا بعيدة وتعدّ فيها بالعرض ، وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال أو ما يجري مجراها ، انها للبصر بالذات ، والجواهر أنها بالعرض .

وأما (٥) ما بالعرض على الخصوص فما يدركه بتوسط قوة أخرى ، مثال ذلك أن الأبيض اثر عندنا (٦) فليس للبصر لا قريباً ولا بعيدا .

وقد يظن أن كثيراً ما < ما > بالذات يوجد في المرايا (٧) ، فإن الشكل والحركة قد تظهر فيها وأشياء أخر من أحوال الملون ، لكن ليس ذلك فيها من جهة واحدة ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع ، والحركة الظاهرة

(١) وقد ذكر أرسطو رأى ديمقراطيس في كتابه في النفس : De An. ii. 7. 419 a 15

(٢) المخطوطة : ملون بالخلاء .

(٣) أيضاً : 419 a 9 .

(٤) أيضاً : 419 a 21 . وراجع النص بنفسه : ما وجد فيه إدراك اللون الخ (ورقة ١٥٥ ب) .

(٥) المخطوطة : وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال وما جرى مجراها انها للبصر بالذات واما الخ .

(٦) المخطوطة : عندما .

(٧) المرايا جمع المرآة .

فيها ليست حركة حدثت بل أشياء شعاعية[١] ، لأن الجزء الظاهر عند آ ليس هو بعينه الذي ظهر عند ب . فيكون ذلك حركة . وانما ذلك كظل المتحرك فإنه عدم لضوء لا لحركة ، فان الظل لا حركة له .

والحس لما كان هيولى تقبل معنى المحسوس على ما قيل[٢] لذلك ارتسم في الحس ما به قوام ذلك المعنى ، كيف كان . وأما المرآة فليست تقبل المعنى لكن تقبل أمثال بعض لواحق ذي المعنى[٣] .

---

(١) المخطوطة : شالمة .

(٢) راجع النص : هيولى الادراك مطبوعة على قبول معاني المدركات : (ورقة ورقة ١٥٤ الف ، أخرها) .

(٣) المخطوطة : « هذا مغيء » ، لعله من زيادة ابن الامام او الكاتب .

الفصل الخامس

(ورقة ١٥٧ ب) القول في السمع

والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع ، وفعلها [١] ادراك الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين . وهذه الحال هي التي يكون بها الشيء مسموعا وإحساسها هو سمع . وذلك ان كل الأجسام المحدثة للصوت إما صلبة وإما رطبة . فان كانت صلبة فاذا قرعها [٢] قارع حدث عنها [٣] صوت . وأما إن كان رطباً [٤] فانه لا يحدث عنه صوت إلا بأن تكون حركة القارع الى المقروع أسرع [٥] من انخراق ذلك الرطب فتقاومه . فيتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبو عنها ، وتندفع منه الى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء مع أنه يندفع عن القارع يقبل [٦] عن القارع أثراً خاصاً به ، كما يظهر ذلك من الأجسام المهتزة .

---

(١) الصوت ، كما بيّنه أرسطو ، بالفعل وبالقوة . والأول يحدث من التصادم ، فلا بد له من جسم قارع وجسم مقروع ، والصوت لا يكون إلا بحركة من الضارب والمضروب ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 5—13 .

(٢) المخطوطة : قرعه .

(٣) المخطوطة : عنه .

(٤) اللفظ المقابل الرطب في هذا المعنى غير موجود في كتب أرسطو ولكنه بيّن « ليس كل أجسام تحدث الصوت بالمقارعة ، فالضرب على القطن مثلاً لا يحدث صوتاً ولكن النحاس والأجسام المجوفة والملساء تحدث » ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 14—15

(٥) انظر ارسطو : De An. 8. 419 b 23 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ، ص ٣٥ .

(٦) المخطوطة : ويقبل .

وبينٌ أثر ذلك الحس في أوتار العود ، فانا نجده متى حركنا البمّ في تسوية المطلق تحرّك < ما > على المثنى فلم يتحرك ما على الزير ، ولا ما على المثلث . وكذلك اذا اهتزّ المثلث لم يهتزّ الزير . وإن وضعنا الاصبع على سبابة الزير تحرك ما عليه ؛ وكذلك يعرض في المتساوية الطبقة ، لأنها متشابهة . وكذلك عرض الأمر بعينه فيما بالكل < و > الذي بالكل متشابه وليس متساوي [1] .

والمحسوس الأول هو ذلك الأثر [2] الذي في الهواء والماء الحادث عن القرع ؛ لكنه مقرون بحركة ولا يمكن أن يحسّ دون تحرّك ذلك الهواء . فلذلك هو أثر مقترن به تحرّكه في الأثر [3] ، فلذلك يلحقه عن ما يرجع عن جسم ان يرجع بعينه ولكن لا على تلك الحالة . فلذلك يلزم الضدّين [4] تغيرٌ ما ، لكن يبقى الأثر واحداً بعينه .

وكذلك في أذن الإنسان خاصة ، لما كانت كثيرة التقارع ، عرض للهواء هنالك أصناف من الرجوع [5] ، وبقي الصوت ، كما يعرض في الآلات المصوّتة ، كالعود . وبذلك يكون الصوت نغمة . فان النغمة صوت يبقى زماناً محسوساً ؛ ولذلك لم يكن كل صوت نغمة ، فلذلك متى يردفه صوت آخر امتزج الهواءان وهما بأحوال مختلفة ، فحدثت نغمة ممتزجة ، إما ملائمةً وإما منافرةً . وهذا هو السبب الذي كانت الإيقاعات تصيّر به [6] الملذّة منافرةً والمنافرة ملائمةً . وهذا هو < في > عود أنينها [7] النغم . وقد فصّل ذلك كله في مواضع أخر .

---

(١) (متساوياً) خير ليس . (لجنة المجلة)
(٢) راجع أرسطو : De An 8' 419 b 18—20 .
(٣) أي الصوت أثر متحرك بالهواء الذي حدث الأثر فيه .
(٤) المخطوطة : الضدان .
(٥) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 419 b 26; 420 a 4 .
(٦) المخطوطة : تصرّ .
(٧) الصواب (ابينه النغم) . (لجنة المجلة)

ولما كان الموضع الأول للسمع هو الهواء ، لأنه القابل الأول للصوت ، لذلك كان المتقارعان [١] محسوسين بالعرض ، ولذلك يقع الغلط للسمع فيها ، كما يقع للبصر فيما لموضوعه بالعرض ، وقد تلخص ذلك قبل [٢] . فلذلك قد تعرض أصوات كثيرة لأجسام متباينة (ورقة ١٥٨ الف) يظن بها أنها واحدة ، كمثل وقوع الماء في جسم أجوف صلد أن يكون الصوت المدرك منه وصوت وتر العود واحدا [٣] بعينه حتى يظن من سمعه ولم يشاهده أن عوداً يقرع بعض أوتاره . وبهذا يقتدر المشعبذون على تخيل رعود ، والمحاكون على اسماع أصوات أجسام مختلفة فتظن بذلك وجود تلك الأجسام من غير أن توجد .

ومن شأن ما هو لحاسة ما بالعرض أن يتعاون عليها الحواس ، وعند ذلك يحصل ذلك المحسوس . وسنبين بعد هذا كيف ذلك ولأي قوة هو .

والأجسام منها مصوّتة ومنها غير مصوّتة . فالمصوّتة هي التي لها آلة توجد الصوت ، ومحركها هو الانفعال الحادث في أنفسها . ومثل هذه فهي ذوات الأنفس [٤] ومن ذوات الأنفس ماله رية [٥] ، وهو ما يتنفس [٦] .

---

(١) المخطوطة : المتقارعين .

(٢) لا يذكر ابن باجة في كتاب النفس واضحاً أنه يقع البصر غلط .

(٣) المخطوطة : واحد .

(٤) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 420 b 5 .

(٥) المخطوطة : رئه .

(٦) المخطوطة : ما تنفى .

فأما الحيوان المعروف بالصرّار وصرّار الليل فليس مصوّتاً [١] على هذه الجهة ، بل هو مصوّت [٢] بالعرض . لأن الهواء يخرج من بين خروق جوفه [٣] فيحدث له صوت .

وأما ما هو غير متنفس فليس يُحدث صوتاً لو يقرعه قارع . هذا وجود الصوت .

ولما كان الحسّ يلحق معنى المحسوس ، كما قلنا ، كان السمع يلحق هذا المعنى الكائن في الهواء وما به وجوده ، فلذلك يلحق الجهة التي منها كان الصوت وسائر ما يلحقه . ولا يلحق الشكل ولا غير ذلك مما يلحقه البصر إذ [٤] لم يكن في قوام الصوت .

---

(١) ذكر أرسطو الصوت الحادث اتفاقاً قائلاً : « الصوت الذي هو السمك وما أشبهه انما يُحدثه بخيشومه أو بعضو آخر له : De An ii. 8. 420 b II. يظهر أن ابن باجّة خالف أرسطو حين قال ان الصوت من صرار الليل مثلاً يحدث بالعرض ، فان الهواء يخرج من بين خروق جوفه ، ولكنه يوافق أرسطو حين يذكر التنفس ، فاخراج الهواء يحتاج الى الاستنشاق أولاً : De An. ii. 8. 420 b 15 ; Hist. An. IV. 9, 535 a 27—536 b 24 ، وفي هذه المواضع ذكر أرسطو الحيوان المصوّت ، صرّار الليل . وابن رشد يتبع ابن باجة ، راجع : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٣٨ .

(٢) المخطوطة : هي مصوتة .

(٣) المخطوطة : جوفها .

(٤) المخطوطة : إذا .

الفصل السادس

القولُ في الشم

والشمّ هو إدراك معنى المشموم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف . وقد يجب أن نسلك ذلك السَنَن فنفحص عن القابل الأول للمشموم ما هو ؟ فبذلك يتبين لنا ما هو الشمّ بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في البصر . فإن اللون هو المرئيّ ، والقابل الأوّل هو البسيط . ويشبه أن تكون الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه الحاسة (١) أشد ضرورة في سلامة المغتذي من الأوّلين . ويحقّ (٢) كان ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجبان تغيّر الممتزج ، لما يوجدان (٣) للممتزج لا بالعرض < و > لا بالذات . وان اللون لا يتبع المزاج كما تبين ذلك في مواضع أخر . وقد لخص ذلك الإسكندر الأفروديسي (٤) .

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : نحو .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابو عثمان الدمشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بخزانة اسكوريال ، ميدرد ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic—Hispana Escurialensis, vol.. I. p 242, Foll . 69 b—17 a) . ولقد جهدتُ لحصول نسخته الشمسية ولكنهم رفضوا الطلب وقالوا إن الأب "مرّاتا" يريد ان ينشر هذا الكتاب بتحقيقه . ولكن ابن باجة يشير هنا الى تصنيفه المسمّى « بمقالة الاسكندر في اللون وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في محتويات نسخة برلين المفقودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften.., vol IV. No. 5060 .

والمشموم الأوّل هو الرائحة . فلنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو ممتزج فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج [١] يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدّم بالطبع ، ذاتيّ فبيّن أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصفح انما وقع لبعضها ووقع اليقين في الكل . والأمر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، انها إنما تصير يقينية في زمان وهي مباينة للأزمان في الكثرة والقلة ، فإنا نشاهد في الصيف في بعض البلاد ترابا ليس له رائحة فاذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملاقاة المطر له ، ولا سيما متى كان المطر من سحاب قريب فانه عند ذلك يكون حارّاً وربما كان ثلجاً .

وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحةَ فتكاد الرائحة أن تكون هي طعماً ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه [٢] كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقترنت بها [٣] رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة [٤] لأن الحيوان إليها أحوج .

ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس [٥] حتى يستنشق [٦] وهو

---

(١) هذا الرأي أيّده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : De Sensu, 5, 443 b 24 sq; 444 b 1 — 14; '30 — 445 a .

(٣) لعل الصواب : اذا اقترنت بها ، او اذا اقتربت منها . (لجنة الجلة)

(٤) راجع أرسطو : De An. ii. 9. 421 a 9 .

(٥) المخطوطة : لا يحس .

(٦) راجع ارسطو : De An. ii. 7. 419 b 1 .

ما كان له رئة [١] . فإنه لو وضع ذا [٢] الرائحـة على الأنف لما أحس [٣] حتى يستنشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستنشق بقـدر لا تحركه [٤] هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب [٥] لا ينفتح . فاذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعةً بل يتنفس في زمان طويل أو جعل التنفس متلبثاً .

ومما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

---

(١) أيضا : De An. ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b I sq. .

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس فانها لا تدرك كل ما يلاصقها ، راجع ارسطو : De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥١ س ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous. 95 ورقة ٤٧ الف س ٢٠ : « واين حواس ديگررا كه وصف كرديم نه چنين باشدكه ان حواس تادرهوادرميان نباشد محسوسات خردرانيابد ، چون حس بينائى وشنوائى وبويائىكه اگر مردم چيزديدنى رابر حدقه چشم نهدنه بيد ، واگرچيز آواز دهنده بريوست درون گوش نهد آوازآن نتواند شنيد واگرچيز بويارا ظاهر مجراى بينى نهد بوى ان نيابد .

(٤) بقدر لا يحركه . (لجنة المجلة)

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه زعم ان حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما ان البصر له غشاء في العين يحفظها . (De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة تيقن به ، امله أخذه مما كتبه أرسطو في كتاب الحاس والمحسوس (5. 444 b 21 — 25) ان الحيوانات التي تتنفس يزول فيهم شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ، والحيوانات التي لا تتنفس لا يزال هذا المانع فيها مرتفعا ، راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ٥١ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما ديگرجانوران كه راه گذريبى دارند بالاى گذرگاه حجابى بود شان كه هوارا بازدارد ازرسيدن بدان منافذ مگرانكه بركشند وبجنبا نندوهمچنين نتوانندديد مگركه چشم بكشايد » .

إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات والكثير من المطبوخات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس [١] . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشتبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع [٢] . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها [٣] وقوابلها [٤] ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك [٥] تانك الحاستان الأطوالَ والأشكالَ أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع أخر ، وقلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والفضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بعموم وخصوص ، فإذا قيل بعموم كان كالجنس للشيء والطبخ ؛ وإذا قيل بخصوص كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويبس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبوسة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحةُ ، وقد تلخص أمرها في الحاسّ والمحسوس [٦] .

---

(١) راجع أرسطو : De Sensu, 5. 443 a 21 — 30 .
(٢) راجع النص آخر ورقة ١٠٧ ب .
(٣) المخطوطة : محسوساتها .
(٤) المخطوطة : قوابلها .
(٥) المخطوطة : قابل .
(٦) بيّن ابن باجة غاية الشم في كتاب الحس : De Sensu, 5. 443 a 7 .

وتبين أن الرائحة تكون عندما تغسل [١] الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوان وفي الأحجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة الممتزجة باليبوسة التي قد أنضجتها الحرارة — ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة القوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى دُلك ذو الرائحة أو فُرك [٢] وبالجملة إذا استحرّ ظهرت رائحته [٣] . فان الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكتفي بذلك مثل المسك والأُبنى السائلة [٤] ، وقد لا تكتفي فتحتاج الى حرارة أخرى كعود الطيب [٥] والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشمّ هو إدراك معنى المشموم ، وكان وجود المشموم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشموم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشمّ إلاّ بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشموم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم [٦] بالعرض . فتميزت له جهة الشم [٧] بالقصد الثاني .

---

(١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 1; b 3; 445 a 14; 4. 441 b 18 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، ص ٦ وحس بويائى همان شناسد كه موافق وخوش بود ويا مخالف وناخوش ، ولتوالد كه بوى گل را ازبوى ميه جدا كندونه بوى صبررا ازبوى مزبل كه همين دانيم كدبويهاى ناخوشت يابويهاى ناخوش .

(٥) مشهور بالعود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشموم .

(٧) المخطوطة : المشموم .

الفصل السابع
القول في الطعم

وقد تبين وجود الطعم أي وجود وجوده (١) ، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب ، ولا في يابس ، ولذلك لا يوجد للرماد ولا للماء الصرف ولا للهواء . ولذلك يوجد لماء البحر طعم ولماء الآجام لليبوسة التي تخالط تلك المياه .

فهيولى الطعم الرطوبة (٢) ، ولذلك متى يبست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالبُ عليها (٣) اليبس ، وتجد لذلك طعم الرطب . فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللون . وتحرك الرطوبة حاسة الذوق (٤) . ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية . فالرطوبة يفتقر اليها الطعم أما أولاً ففي (٥) أن يكون موجوداً ، وثانياً لأن يكون محسوساً .

ولذلك جعلت النغانغ (٦) لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق .

---

(١) راجع النص نفسه ، ورقة ١٥٩ الف ، ... فا حدث عن ذلك الرائحة الخ .

(٢) قال ارسطو إن الجسم المشموم والمطعوم يتعلق بجزء سائل : De An. ii. 10. 422 a 10 .

(٣) المخطوطة : عليه .

(٤) راجع أرسطو .

(٥) المخطوطة : هي .

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « ان هذه القوة ليست تحتاج الى متوسط » ، واستدل قائلا « فمن هذه الاشياء كلها قد يظهر ايضا ان هذه الحاسة انما تدرك محسوسها بتوسط هو هذه الرطوبة ، وقد صرح بذلك ابو بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وثامسطيوس » ، الاهواني ، ص ٤١ .

وهي ممتزجة من يبس ورطوبة نحواً من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير [١] ذات طعم اشلاً يعوّق طعمها قبول طعوم المتضادة لها [٢] . فلذلك يجد المحموم الطعوم كلها مرّة [٣] ، لأن الرطوبة التي في فمه مرة لمخالطة الدخان اياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع .

والطعم ضروري في الحيوان [٤] ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصداف واسفنج البحر . ويشبه أن تكون هذه تكتفي باللمس في اغتذائها لبعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات .

ولذلك لا يحس الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألذ وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحر وأبرد ، وذلك بيّن بنفسه .

(١) المخطوطة : تكرر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التعبير : الطعوم المضادة لها . (لجنة المجلة)

(٣) راجع ارسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) ايضا : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu. I. 436 b 13 .

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك الملموس . والملموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة [١] ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلاّ أنها في موضوع واحد . وهذه الحاسة هي شايعة [٢] في بدن الإنسان ، وليس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له [٣] . فإن الجلد ليس فيه

---

(١) وابن باجة اوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللمس فقد يظن به انه اصناف كثيرة ، فان اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت او اكثر من واحدة فهي اللحم وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا الحس يحتاج اللحم اكثر مما يحتاج اليه غيره ولذلك كان الانسان احسن لمسا من سائر الحيوان لان اللحم فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فلوس ولا خزف بل الجلد » . وقد أشار الى هـــذا أرسطو حينما قال (De An. II. 422 b 18) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كان مجموعا لحواس فلا بد من أن يكون الملموس اكثر من واحد » .

(٢) ويبيّن ابن باجة ايضا ، (ورقة ٩٥ الف) . وهـذه القوة (أي قوة اللمس) ليس لها موضوع منفرد كالعين للبصر والمنخر للشم وثقب الأذن للسمع بل تجدها شايعة في الجسد كله ومحيطة به .

(٣) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل الأعضاء كاللمس وآلته اللحم او ما يقوم مقامه فسوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأمّا ان يكـــون منفرداً كالحواس الاربع . وانظـــر أرسطو : De An. II. 422 b 20; 423 a 13 .

الحاس الأول [١] لأنه اذا كشط أحسّ اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أحرى أن يظن به أنه أشد لمساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ، هي التي لا يخلو [٢] منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا يخلو [٣] < من > أن يكون لها لمسٌ .

ولما كانت الملموسات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد [٤] ، يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > التضادّان ليس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمتضادّين [٥] . وقد يعرض للمتضادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض

---

(١) استدلّ ابن باجّة قائلا : ورقة ٩٦ الف : فجلد الانسان فقد يظن به أنه الحاسّ الاوّل واما انه ليس الحاسّ الأوّل فذلك بيّن لأن اللحم يحس دون الجلد اكثر مما يحس والجلد عليه .

(٢) المخطوطة : لا يخلوا .

(٣) المخطوطة : ولا تخلوا .

(٤) ايضا ابن باجة ورقة ٨٧ الف : : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) فهو جسم ملموس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المشاهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب الى البسايط ظن بأن المعرفة بما نشاهد ليست مكتفية بنفسها على ان تردف بالقول فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور محسوسة فهي موجودة . وهذا علم اول مكتف بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضوع واحد وان قوام جسم وصورته من حيث هو ما هو است واحدة منها . وانواع الأجسام المشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الاربع لا يخلو جسم منها ؛ ارسطو : 423. 27 .

(٥) راجع ارسطو : De An. II. 424 a 7 .

والأسود ، والأبيض موضوع البراق والابراق (١) ، والضوء طرفاه النقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير .

وكما أن تلك حاسة واحدة تتبعها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس (٢) . وبالجملة فإن القوى تتبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها (٣) موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول .

[ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كاين فاسداً فهو ملموس . ولا يخلو (٤) الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لا لون له (٥) ويوجد جسمٌ لا صوت له وذلك في الرايحة والطعم ، فلذلك اتخذت آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يمكن ذلك كانت من

---

(١) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٦ ، حيدراباد ص ٤٠ .

(٢) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقيل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ، فان هذه افعال اولية للحس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٣) المخطوطة : فان ما لاواحد منها .

(٤) المخطوطة : لا يخلوا .

(٥) هذا مخالف لما قال ارسطو في De Sensu. 6. 445 b 12 ، وانظر ايضاً : De An. II. 7. 418 b 27 — 30 .

المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظن جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلته الأجسام التي يسميها أرسطو سيلا ويسميها جالينوس عصبا لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أي عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمس ، ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضوارب وهي مملوءة من الروح الغريزي .

فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفا ، فإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطا يخالطه الضد ، فتلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك تصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرائين وتصير عليه الشبكة المشيمية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس [1] . والمحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

---

(١) راجع ارسطو : De Sensu. VI. 446 a 21

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشمّ ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب[1] هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يسلم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يماسّ السمك[2] في الماء <بغير الماء> ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تسلمخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحس[3] بذلك .

واللمس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غُشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحار والبارد ، وكما يحس بتوسط العكاز[4] مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلسنا نحس كل أنواع الملموس ، فإنا لانحس بتوسط العكّاز لا الحار ولا البارد . بل إنما نحس بالصلب واللين . ونلمس الحار والبارد عندما يغشى الجلد ، وليس إنما يكون الغشاء يخدم بل ينفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .

وأما هل حاسة اللمس هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس يتبين[5] ،

---

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ؛ والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفت حاسه لمس ملوس راببانجى هوادريابد ليكن هوا پوشيده بودودرين مثل زد گفت : اگر كسى دست بآب دروبرد وبيرون آوردبدست سنگى رابر گيرد چارميان سنگ ودست آب بود ليكن پنهان ازغايت لطافتش پس چون آب بتوسط ميتواند بودميان دست وآنچه بدست گيردبى آنكه بتوان ديداز لطافت هواسزوارتر كه‌در توسط پوشيده ماند كه هوا از آب بسى لطيفتراست » . وابن رشد اقرب الى ابن باجة واظهر في البيان ، تلخيص : الاهواني ص ٥٥ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احس ، وبالهامش : « اسرى » .

(٤) المخطوطة : العيار ، وبالهامش : « العكاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : على ما نشاهد ان الحس في اللحم ، ولا يبالي ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الغريزي ؟ واللحم له آلة » . ايضا ارسطو : Hist. An. I. 489 a 24

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم ٠

والملموسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة ٠ فإن لها قوى شايعة في الجسم [١] ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم ٠ فلذلك تدرك اللامسة الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر ٠

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه وإن وجدت فسيكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن يكون محركاً جسمانياً ٠ ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس [٢] ولذلك لا يمكن أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك [٣] أشياء ٠ فأما الحاس الذي يدركها فسنبين أمره بعد ٠ وأيضاً فإنه إن كان ها هنا حاسة سادسة [٤] وجب ضرورة أن تكون لحيوان ما ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير الإنسان ، فإنما للإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً ناقصاً [٥] ٠ ومحال أن يوجد للناقص ما لا يوجد للتام ٠ وقد تلخص في أول

---

(١) أيضا ارسطو : DeAn. III. 13. 435 a 20 ; De Part. An.II. 1. 647 a 15 ; Hist An. I. 3. 489 a 18 ابن رشد الاهواني ص ٤٧ وحيدراباد ص ٤١ ٠

(٢) أيضا ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٦ ، حيدر آباد ص ٥١

(٣) المخطوطة : لا تحرك ٠

(٤) واجع ارسطو : De An. III. 1. 424 b 22 ؛ وابن رشد : تلخيص ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ ٠

(٥) وفي المخطوطة زيادة : « تخريجة كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ، إن هذا القول زيادة ، مثاله اتذكر ها هنا القول الذي الّف من الهيولى لأن البصر من ماء والسمع من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة سادسة ? ، هذا مغى ٠ »

الحيوان(١) كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفلة للحمار والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً(٢) للإنسان بوجه أكمل ، فإن الجحفلة والخرطوم هي يد ناقصة . واذا كانت الأعضاء إنما تحد بغاياتها ويقوّمها استعدادها لحصول تلك الغايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الحاسة ضرورةً لئلاّ(٣) يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بيّن مما تلخص من كتاب الحيوان .

---

(١) واجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان العظام فيا اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لأنه يوجد له جميع أجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد انما هي آلات لنسانية كالعروق والعضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جسده كالعظام فضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كملت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شيا حيوانياً . والانسان ففيه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت نفساً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلاً » .

وانظر ارسطو : Hist. An. I. 2. 488 b 30; 486 b 18 ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : الا" .

الفصل التاسع

في الحسّ المشترك [١]

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاسّ واحد [٢] هو الأوّل وهو الذي يسمى الحسّ المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحسّ مجملاً ، وهو الهيولى الذي تصير به المعاني محسوسة [٣] . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبست باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الحاسةُ ، فهي بالموضوع واحدة [٤] وبالقول كثيرة [٥] ، كما يعرض ذلك لمركز الدايرة [٦] فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير .

ولما كانت ها هنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة [٧] تقبل تلك [٨] ففي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى .

وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أيّ شيء هي ؟ وأيضاً فإن هنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

---

(١) عنوان مستقل في نسخة برلن .

(٢) راجع اوسطو : De An. III. 2. 425 b 11—22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضاً يصف الحس المشترك فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدّى اليها المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٥ ، حيدرابادص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيراً ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصاً ارسطو وشراحه : المصدر السابق .

(٧) ايضا ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، هنا زيادة : هي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك .

على تغايير أحوال المحسوس (١) وتجسّ له أحوالاً (٢) كثيرة . فتدرك لكل جزء من التفاحة (٣) مثلاً أن له طعماً ورايحة ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوابل مضادة لها لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذاك (٤) . فإنه يجب عندما تؤملت المغايرة ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات (٥) عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شان هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها (٦) ، فإذا اتفق أن يوثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواسّ ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكمالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وسنبين أمرها فيما بعد .

فاما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلاّ باشتراك . فالحس المشترك لما كان ضرورة صورة للحار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل بكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن ارسطو : De An. III. 2. 426 b 10 ; ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويُظن أن أولّ من ذكر المثال المذكور الاسكندر الافروديسي .

(٤) وابن سينا ايضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، س ٣) « فانه لو لم تكن قوة واحدة تدرك الملوّن والملموس لمّا كان لنا ان نميّز بينهما قائلين انه ليس هذا ذاك » .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة (١) جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحركها عن تحريكها ما ليس بذي جسم . وليس يتصل بما هو خارجٌ عنه .

وإنما يصير الحسُّ المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباسه للآلات . كالتباسه بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بيّن في الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة ليست في الجسم . لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاها ، فاذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك الصورة في الحاسة لا تُحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال ما يكون الربّان (٢) ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد يتلخص أمر هذه الصورة في غير هذا الموضع .

وأما اذا انفرد (٣) الحس المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة لجسم ما . ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الغريزي لها موجود إنما في الحاسة لأن التقدم (٤) والتأخر (٥) فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر هذا في كتاب الحيوان .

---

(١) المخطوطة : الجلة .

(٢) وانظر ابن باجّة نفسه ، ورقة ٦٠ الف ، « فان النفس في البدن كالربان في السفينة فان الربان في السفينة صورة الا انهـا مفارقة » ، وراجع ارسطو : De An. I. 3. 406 a 6; II. 1, 413 a 9 .

(٣) قارن ابن باجة : النص نفسه : ورقة ١٥٥ الف : فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحس ينفرد عن الحركة بالقول كما ينفرد الهيولى من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالأسباب المقومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : المتأخر .

فإن وجد حيوان (١) له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فتلك ليست نفساً إلا بنحو من اشتراك الاسم . مثل أن تكون قوة لحضوره (٢) للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالهيولى فيها فتكون تلك (٣) صورة لهيولى الحس المشترك لكن ليست أولى . فلذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس يأخذ كل واحد منها بقسط ، وسنبين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

---

(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني ان الجسم عندما وجد في الحس المشترك يحتاج الى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة للحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفاء) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : « فان الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك ، والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبعة مادامت النسبة المذكور بينها وبين المبصر محفوظة أو قريبة العهد . فاذا غاب البصر انمحت الصورة عنها ، ولم تثبت زمانا يعتد به » .

(٣) المخطوطة : ذلك .

الفصل العاشر

القول في قوة التخيل

والقوة المتخيلة هي التي تدرك بها معاني المحسوسات [١] . وقد اضطرب بالناظرين نظارهم فيها . فمنهم من رآها حساً [٢] ، ومنهم من رآها ظنا [٣] ، ومنهم من حكم عليها بأنها مركبة من رأي وحس [٤] ، وبيّن أن هذه القوة ليست واحدة من القوى ولا مركبة منها [٥] . لأن [٦] ما يصدق على واحدة منها بالكل

(١) راجع ارسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 17; II. 12. 424 a 18 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، اهوانى ص ٦٢ س ١٧ ؛ ١٥٠٦٥ ، حيدر اباد : ٥٧ و ٦٢ .

(٢) المخطوطة : نفسها .

(٣) عرّف ابن سينا الظن ، فقال : الشفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣ : والظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجوز الطرف الثاني .

(٤) راجع ارسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 21 ؛ وابن سينا عرف الرأى بقوله (شفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣) : فالرأى هو الاعتقاد المجزوم به .

(٥) أرسطو : Arist. : De An. III. 3.427 b. 6; 428 a 25 ؛ ابن رشد تلخيص ، اهواني : ٥٩ ، حيدر اباد ، ٥٣ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٩ الف ١١ : پس بايد كرد مردمانى راكه ويم راقوتى پنداشتند ازراى وحس محمود مركب ، وگفتنه چنانست ازانكه اگر مركب بودى ازحس وراىء محمود بايستى كه حس وراىء محمود كار كردندى دريك چيز درسپيدوسياه ومانة چنين يمى بينيم ... »

(٦) المخطوطة : لا ما يصدق .

يكذب على الجزء من الآخر ، ويأتلف في الشكل الثاني من الضرب الرابع منه وينتج الثالث الجزئي [١] .

أمّا الظن مقامه أن يصدق عند من يظنه ، ومن التخيـل عند من هو له لا يمكن أن يصدق ، مثل أن يتخيل أنّ هذا الفرس ذو قرنين وهذا ما لا يظن ولا يمكن وجوده عنده [٢] .

وأما الحس فإن كل حس فمحسوسه موجود [٣] عند ما يحسه . وليس كل متخيل كذلك [٤] ، بل قد يتخيل ما قد تلف ، وما لا يمكن أن يحسه .

ولا مركب من هذين . وذلك بيّن بما قلناه مما هذه القوة .

فنقول : أمّا انها [٥] قوة تدرك الأمور التي تقدّم الإحساس بها ـ وهبها [٦] غايبة عنا إما بفسادها أو بكونها غير معرّضة للمدرك ـ فذلك بيّن بنفسه .

---

(١) ولإنتاج الشكل الثاني من القياس يجب ان تختلف المقدمتان في الكيف (اي في الاثبات والنفي) وأن تكون المقدمة الكبرى كلية ، والأقسام المنتجة منه اربعة . والقسم الرابع يشمل الصغرى جزئية سالبة ، والكبرى كلية موجبة ، وينتج مثل القسم الثالث ، سالبة جزئية ، نحو بعض الانسان ليس بابيض ، وكل انكليزي ابيض ، فبعض الانسان ليس بانكليزي . او ، بعض الخيالات ليست بثابتة ، وكل الآراء ثابتة ، فبعض الخيالات ليست بآراء .

(٢) راجع ارسطو : Arist. De : An III. 3 427 b 17 ؛ ابن رشد : تلخيص ، اهواني ، ٦٠ ، حيدر اباد ٥٥ .

(٣) ارسطو : Anist. De An. II. 5. 417 b 20 - 24

(٤) ايضاً : De An.. III. 3 428 a 6 ؛ ابن رشد ، اهواني ٥٩ ، ١٠٠ ، حيدر اباد ٥٠٥٤ .

(٥) المخطوطة : أن .

(٦) المخطوطة : وهبه .

وهذه القوة ليست للإنسان فقط بل وفي أكثر الحيوان غير الناطق [١] ، وليس للحيوان غير الناطق قوة أشرف منها ، وسنبين ذلك فيما بعد .

وهذه القوّة تعرض لها أن تصدق وتكذب بل هي في كثير من الأمور كاذبة [٢] ، وهذه القوة بالطبع إذا كانت صادقة فإنها ضرورة تدرك الأمر وهو بالحال الذي أدركه الحس . وبيّن أن الأمور التي أدركتها هذه القوة ليست المحسوسات [٣] (ورقة ١٦٢ الف) فإنها [٤] تدرك محسوسات قد فسدت ، وأيضاً فلا يمكن أن تدرك بالذات المحسوس إلا بعد أن يتقدم إدراك الحس له إلا بعرض . وقد لخص كيف ذلك في الثانية من كتاب الحس [٥] .

وقد قيل [٦] من قبل ان الحسّ المشترك قد يبقى فيه أثر المحسوس بعد غيبته

---

(١) قارن ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٦٠ الف ١٢ : افعال النفس ثلاثة : افعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذية والتربية والتوليد ، وافعال يشترك فيها الحيوانات جلها ولاحظ فيها للنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة الارادية ...

(٢) واجع ارسطو : De An. III.3. 428 a 11 ؛ ابن رشد : تلخيص ص ٦٠ ، حيدر اباد ٥٤ .

(٣) قارن تدبير المتوحد ، تحقيق آسين پلاسيوز ، ص ٧٢ : واما التي توجد عن العقل الفاعل فكلها صادقة بالذات لا بالعرض ، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق ، وهذه الصور ليست صور الأجسام بعينها فتكون خاصة ، ولا هي ايضاً مجردة عن الهيولى فتكون معقولات عامة ، وليس توجد لها النسبة الخاصة ولا توجد لها حالات المعقولات العامة ، بل توجد بين الصور الخاصة والمعقولات .

(٤) المخطوطة : فانها .

(٥) قارن ارسطو : Arist. : De Memoria et Rem.. I. 449 b 31; 450 a 10 sq. . وهذه الرسالة قد ظهرت في جوامع ابن رشد العربية وكذلك في النص العربي وفي مخطوطات التراجم العبرية التي نقلت عنها كأنها كتاب ثان من كتاب الحس والمحسوس لأرسطو ، انظر : Averrœs Cordubenisis Compendia Librorum Aristotelis qui Parva Naturalia Vocuntur edd. Shields — Blumberg (The Medieval Academy of America, Cambridge MSS. 1949), P. 47.

(٦) المخطوطة : كان .

عنه (١) . ولكن تبين أن ذلك الأثر الذي قيل هنا هو الإحساس فإن الحس المشترك مع قوته على قبول صورة المحسوس قوة على التمسك (٢) بها ؛ وبهذه القوة إذا صارت فعلا يعرض لكثير من الناس أن يرى شخصاً من غير أن يكون ذلك الشخص حاضرا (٣) . وهذا بيّن في المبرسمين الذين يعرض لهم في اليقظة (٤) ، فقد يعرض لبعض الأمزجة أن يكون ذلك صادقاً (٥) ، كما يعرض لذوي الحس المحمود . وذلك أن الحس (٦) المشترك اذا قوي وضعف

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ١٣٠٦٤ ، حيدر اباد ٥٩ .

(٢) راجع ارسطو : De Somniis, 2. 459 b 8—9 ; 460 b 1 ؛ ابن رشد : الاهواني ص ٦٣ .

(٣) أيضا : De Memoria I.،450 b 18 ; De Somniis, 3. 461 b 1

(٤) أيضا : De Somniis. 2. 458 b 26 — 29 ; 3. 460 b 29 — 30 ويقول الفارابي وابن سينا : « الممرورون والمحرورون » في موضع « المبّرسمين » واللفظ الآخر شائع في كتب المتأخرين (٠ انظر الهدية السعيدية لفضل الحق الخير ابادي ، ص ١٧١ : ولعل الفطرة السليمة يحكم بانه لايفرق الانسان بين مشاهدة صور يدركها بحواسه الظاهرة وبين مشاهدة صور يشاهدها في الرويا أو عند الابتلاء بالبرسام ، وص ١٧٢ : وكذا الحال في الرويا وبالجملة فحال تلك الصور المشاهدة للمبرسم أو النائم كحال الصور المشاهدة لصحيح اليقظان في كونها مدركة جسمانية ، وفي ص ١٧٧ : وفيه ان المشاهدة قد تكون من دون الحضور عند الحواس كما في مشاهدة المبرسم والنائم .) ، والبرسام التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وانظر المدينة الفاضلة تحقيق ديتريصي ، ص ٥٣ ، والشفا (ورقة ١٨٠ ، ١٩٠ : والصورة اذا كانت في الحس المشترك كانت محسوسة بالحقيقة فيها حتى اذا انطبع فيها صورة كاذبة في الوجود احسّه كما يعرض للمحرورين .

(٥) لعل ابن باجة اشار الى كيفية « الهذيان » (Hallucination) ، انظر ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ب : فإن شغلت المتخيلة من الجهتين جميعا ضعف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كلتيهما كما يكون في حال النوم ، او من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض ..... وكما عند الخوف .... ووقوع امر جسدانية ..... فتلوح الصور التي في المصورة في الحاس المشترك ، فترى كأنها موجودة خارجاً .

(٦) المخطوطة : محس .

مزاج الحاسة انفعلت الحاسة عن الحس المشترك ، وقبلت الأثر ثم تحرك عنها الهواء الضامّ فقبل الأثر وصار كالشبح [١] ، ثم عاد الأثر فحرك الحاسة ، وحركت الحاسة الحس المشترك ، وقد تلخص ذلك في الثانية [٢] من كتاب الحس [٣] وتبرهن السبب فيه .

وهذه الإحساسات هي معاني المحسوسات ، ومن شأن المعاني كما تبين في الحسّ أن تحرك الهيولى التي هي قابلة بالطبع . فهي اذا كانت احساسات وفارقت [٤] < كانت > أحرى بذلك . وبيّن أن الهيولى [٥] أحرى مجانسة للحس المشترك موجودةً ، فتحركها الإحساسات فتدرك معاني المحسوسات . وليس يمكن أن تصير الإحساسات بعينها فيها ، فإن ما لا ينقسم لا يتحرك . وأيضاً فلا يمكّن ذو الهيولى الهيولى إلا على ذلك النحو بأن يحرّك قوة أخرى هي هيولى له . وهذه الأنواع من الهيولى ليست الهيولى الأولى بل هي متباينة لها ، كما تبين ذلك قبل . بل يقال على كل واحد منها هيولى باشتراك . فهذه هي القوة المتخيلة .

والخيال يقال بتقديم منه [٦] وتأخير ، وهو يقال بالجملة على محاكي الشيء . فإذا قيل بتقديم قيل على ما يحاكي شخصها شخصاً من أشخاص المشار اليه . وقد يقال على ما يحاكي النوع ، وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحاكي ذلك

(١) راجع ارسطو : De Somniis 3. 462 a 10 — 14 ؛ وابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٨٣ ب : ولهذا ما يرى الانسان المجنون والخايف والضعيف والنائم أشباحاً قائمة كما تراها في حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتاً كذلك .

(٢) المخطوطة : الثامنة .

(٣) قارن أرسطو : De Somniis. 2. 460 b 5 — 25 .

(٤) أيضاً : Arist. 2. 459 a 25 – 27 .

(٥) المخطوطة : هيولى .

(٦) المخطوطة : منها .

النوع [1] . ولذلك يسمي فلاطن المحسوسات خيالاً . وقد يقال على غير هذه الانحاء . وبيّن أن الاحساسات خيالات الجسمات ، فالقوة [2] التي تدرك بها هذه الخيالات هي القوة التي بها تتخيل . وهذه الخيالات متى لم تفعل في هذه القوة ولا حركتها لم يوجد الحيوان متحركاً بها ، وان الحيوان يتحرك حركات كثيرة من جهات كثيرة . فان الحيوان يسخن ويجف من جهة أنه من الاسطقسات من طريق أنه ذو كيف [3] . (ورقة ١٦٢ ب) فبالقوة ينتقل من جهة أنه ذو أين فهو يستحيل بالقوة الانفعالية . وينفعل [4] بالقوة المنفعلة ، ويبصر بالقوة الباصرة . فبعض هذه في الجسد كله مثل القوة الانفعالية ، وبعضها في عضو خاص مثل القوة السامعة . وكذلك أيضاً يتحرك بالقوة المتخيلة .

ولما كان كل متحرك فله [5] محرك كانت هذه القوة محركها في الاحساسات الموجودة في الحس المشترك وتحرك هي . فأما الذي عنه يتخيل شي بعد شيء في وقت بعد وقت فهو [6] المحرك الأبعد ، وهل هو واحد أو أكثر من واحد فقد تلخص الأمر فيه في الثانية من كتاب الحس [7] . فقد تبين ما القوة الخيالية ، وما التخيل في الجملة .

---

(١) قارن زيلر (Zeller) : فلاطون (Plato) ، ترجمة الين وكدوين (Alleyne and Goodwin) ص ٢٣٩ ؛ والجمهورية : Republic X. 596 A/ Ritter. II. 306; 303 A 3

(٢) المخطوطة : بالقوة .

(٣) قارن ارسطو : De Somniis. 2. 459 b 1—5 (qualitative Change) .

(٤) المخطوطة : ىىعل .

(٥) المخطوطة : فانه .

(٦) المخطوطة : وهو .

(٧) قارن أرسطو : Arist. 3. 461 b 16—24 (The residuary movements are like these)

والخيالات وهي كمال هذه القوة هي في هذه القوة نظير للاحساسات في الحس المشترك ، وبين أن صور الموجودات – اذا كانت خيالات – أشدّ تبرّيا [١] عن المادة من الإحساسات ، وإن القوة المتخيلة نسبتها إلى القوة الحساسة هـذه النسبة إلاّ أنها غير متبرية جملةً عن الصور الهيولانية من جهة ما هي هيولانية ، ولكنها بعيدة في الرتبة عنها . لأن هذه قد تفعل وإن لم تكن تلك حاضرة موجودة ، لكنها في وجودها مفتقرة إلى تلك ضرورة . فإن كان خيال يوجد عن غير تلك فذلك من غير جنس هذه ، وقد تلخص كيف الأمر فيها في مواضع .

والقوة المتخيلة لا تتحرك حتى تحرّكها الإحساسات [٢] ، ومتى لم يكن إحساس لم تتحرك هذه القوة ، وإذا لم يوجد ذلك الإحساس لم تفعل فيه ، فلذلك يعرض لما – إن قيل فيما لا ينقسم – إنتقال [٣] من شيء إلى شيء . فأما كيف ذلك فقد تلخص في الثانيـة من الحس . فلذلك متى شغل الحس المشترك ، أو أنزلناه بطل ، لم تفعله القوة المتخيلة وكانت قوة فقط . على ما يظن أنه يوجد ذلك عندما يحس بالأشياء المائلة في [٤] العشاء [٥] . فلذلك عدّت القوة المتخيلة في جملة القوى الهيولانية . ولذلك صار فعلها في النوم [٦] أظهر فإن النوم هو وجود الحس المشترك بالقوة فقط . وهو عند ذلك حافظ للوجودية الحاضرية ، فهو غير متحرك ، فهو محرّك فقط والقوة المتخيلة متحركة عنه فقط .

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. III. 4. 430 a 7 .

(٢) أيضا : Arist. : De Memoria. I. 450 a 11 – 14 .

(٣) أيضا : I. 451 a 8 .

(٤) المخطوطة : وفي .

(٥) قارن أرسطو : De Somniis. 3. 462 a 13 — 14 .

(٦) أيضا : De Somniis et Vigilia, 3. 456 b 10 — 16 ; 457 a q. See Note 17

وأما في اليقظة عندما يحس بالمحسوسات المفرطية[١] فيشبه أن يكون عند ذلك متحركاً فقط ، فعند ذلك إما أن يبطل أو[٢] تصير قوته فقط ولا يشعر بها تحركه ، وقد تلخص هذا في مواضع كثيرة . فلذلك إذا بطلت الحواس بطلت هي . واذا بطل الحس المشترك بطلت . فلذلك تفسد (ورقة ١٦٣ الف) بفساد الحس المشترك ، وتوجد موجودة وهي تابعة له على ما المتحرك[٣] تابع للمحرك[٤] في الحال التي بها يُحرِّك . لكنها في وجودها أشرف لأنها كالغاية له .

وعن هذه القوة يتحرك الحيوان حركات مختلفة ، وبها يتحرك الجزء النزوعي[٥] ، وبها يوجد الحيوان كثيراً من الصنائع وبها يرى الحيوان أولاده كالنمل[٦] والنحل[٧] ، وهي أشرف قوة في الحيوان غير الناطق ، ولا يوجد في الحيوان < غير > الناطق قوة أكمل من هذه القوة . فان القوى المحركة للحيوان

---

(١) قارن ارسطو : De An. III. 4. 429 a 31 – b 4 ; De Somniis , 2. 459 b 10 - 22
ابن رشد : الأهواني ، ص ١٠٤ س ١٧ – ٢٢ .

(٢) المخطوطة : و .

(٣) المخطوطة : المحرك .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) قارن ارسطو : De An. III. 10. 433 a 20 .

(٦) المخطوطة : ويكون كالنمل .

(٧) قارن ارسطو : De An. III. 429 a 5 ؛ ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٩١ الف ٢٥ :
والحيوانات الأخرى وخصوصاً الطير صناعات ايضاً فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيا النحل لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن الهام وتسخير ولذلك ليس مما يختلف ويتنوع واكثرها لصلاح انواعها والضرورة النوعية وليست الضرورة الشخصية .
وايضاً ورقة ١٩١ ب ٥ : وربما وقع هذا العارض في الجبلة ومن الإلهام الإلهي كحب كل حيوان ولده من غير اعتقاد البتة بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء نافع او لذيذ ونفرته عنه .... ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧١ .

بالطبع التي هي فيه هي القوة الغاذية والحسّاسه وعن هذه كلها يوجد الحيوان الأفعال التي يقال لها أنها من ذاته ، لأن المحرك والمتحرك معا فيه ، وقد تلخص كيف ذلك في ثامنة السماع [١] .

فبيّن أن القوة المتخيلة كمال لجسم طبيعي آلي ، فهي اذاً [٢] نفس . وبيّن مما قلنا أنه لا يمكن أن توجد قوة أخرى غير هاتين أعني الحس المشترك والقوة الخيالية . وذلك أن الموجودات هي إما هيولانية وإما منتزعة . والهيولانية هي في [جسم] مشار اليه . والانتزاع حركة ، وكل حركة تغير أو تابع لتغير [٣] . والانتزاع تابع لتغير ، والتابع إما أولاً وإما ثانياً . فالأول هو الإحساس ، كما تبين قبل ، والثاني هو هذا . وإن كان هناك ثالث لزم ضرورة أن تكون في الموضوع حالٌ ينفصل بها الثاني من الثالث اذا كانا معاً من جنس واحد وإلاّ فبماذا يكون الثاني غير الثالث .

وهناك تحريك الموجود في الهيولى ، وهنا التحريك وهو ليس في هيولى أنواع ، والثواني معادة للأنواع ما لا في هيولى ، لكن ما لا في هيولى يقال على أنحاء : إما أن لا يمكن أن يكون في هيولى أن يبرهن وجود شيء بهذه الصفة ، أو ما يمكن أن يكون له هيولى لكنه مأخوذ بالحال التي هو مباين للهيولى وهو بها ما هو بأن يكون مأخوذاً بالوجود الذي يخصه ـ وهذا هو النطق على ما سنبين ـ أو ما هو في هيولى ، غير أنه مأخوذ من جهة ما هو . وهذا الجواز إما أن يكون يمكن فيه المفارقة ، وهذا هو الحس ، أو ما قد فارق ، غير أنه مأخوذ بالحال التي هو بها في هيولى ـ فهذه هي القوة المتخيلة الخيالية . ولذلك كانت

---

(١) قارن ارسطو : Phys. VIII. 256 a 02 .

(٢) المخطوطة : ذا .

(٣) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ . وقد استعمل « قريب » و « بعيد » في موضع « اول » و « ثاني » .

القوة الخيالية تدرك الأشخاص [١] فقط ، فلأن الصور الهيولانية إنما حركت هذه القوى بالقوة التي فيها ، وهي التي تقدم تلخيصها قبل هذا [٢] . فصارت الاحساسات موجودة وكان لها قوة تحرك بها ، فحركت القوة الخيالية فصارت الخيالات موجودة . وهذه كلها عن غير الصور الهيولانية وهي هيولانية [٣] . ولم يمكن (ورقة ١٦٣ ب) فيها أن تحرك القوة المدركة الأمر الكلي [٤] حتى تحرك هذه الهيولانية المشار اليها ما يحركه جميع المشار اليه فتكون تحركها غير متناهية ، لأن التحريك عن وجود ، والوجود يقترن به التناهي . والمتحرك عن الهيولى وعن التناهي هو هيولى من جهة ما هي هيولى . وإنما يحرك الموجود المفارق تحريكاً غير متناه من جهة أنه لا يتحرك . وليس هناك ضد فليس هناك مفارقة . وإن كانت الهيولى قابلة أبداً فهو محرّك أبداً لأنه لو لم يحرك لكان متحركاً ، وكل متحرك فهو منقسم وكل منقسم فهو هيولاني . ولذلك تدرك القوة المتخيلة الصور الهيولانية من أحوالها التي تخصها في الوقت الذي تدركها فيه ولا تدرك منها ما لا يخصها في وقت الإدراك . ولا يمكن أن تدركها بجميع أحوالها التي تلحق الصورة محركة عن الأعراض المفارقة لها . ولذلك تدرك جميع لواحقها الذاتية وغير الذاتية كشيء واحد .

لكن قد يسأل سائل فيقول : كيف يتخيل الشيء الواحد بأحوال مختلفة

---

(١) إدراك الشخص هو إدراك المعنى في هيولى ، انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، ص ٦٧ ، حيدراباد ، ص ٦٢ .

(٢) راجع النص نفسه : آخر الورقة ١٥٤ الف .

(٣) قارن أرسطو : De An. III. 7. 431 a 14 — 19 .

(٤) إدراك الكلي هو ادراك المعنى العام مجرداً من الهيولى ، والحس والتخيل إنما يدركان المعاني في هيولى . انظر ابن رشد : ٦٧ ، حيدراباد ص ٦٣ .

بعضها أدركت وبعضها لم تدرك فيه بل بعضها ممكنة فيه وبعضها غير ممكن . إلاّ أن ذلك في الإنسان فقط . فإنه الذي يركب ويفصل (١) . وهذه الحركة هي من قبل أسباب أخر وقد عددت في الثانية من كتاب أرسطو في الحس (٢) .

ولو كانت الخيالية تدرك المعنى وتدرك ما له أمكن أن يدرك فلا يمكن (٣) ذلك في العقل النظري . وأما في الظن فهو لشيء (٤) ممكن ، إلا أن الظن وقوته سنبين . إذاً بيّن ما القوة الناطقة . فأما في العلم فهو فعل القوة الناطقة ، فلا يمكن ذلك فيه البتة وسنبين لِمَ كان ذلك بعد هذا .

فالقوة الخيالية كالبخور بين الموجودات التي من شأنها أن تفارق الهيولى وبين الهيولانية قد أخذت من كل بقسط على ما من شأن الطبيعة أن تفعل دائماً ، فإنها لا تنتقل من جنس إلى جنس دون متوسط وقد لخص ذلك في مواضع كثيرة . وهذا آخر ما يحركه المحسوس المشار اليه .

ولما كان كل متحرك فهو مجانس للمحرّك على ما تلخص في غير هذا الموضع ، وكان الخيال شخصاً ولم يكن كليا . فان الكلي هو الطرف المقابل للشخص . وليست هاتان القوتان أوساطاً على ما هي الأوساط في الحرارة والبرودة حتى توجدان (٥) في الحس . والخيال جزء من الكلية كما يوجد ذلك فيما بين الحرارة والبرودة وإن الوسط فيه حر وبرد . فإنه ليس في الإحساس ولا في الخيال

---

(١) قارن أرسطو : De An. III, 6. 430 b 5 ؛ وابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ الف : وان الحس المشترك يؤدي الى القوة المصورة على سبيل استخزان ما يؤدّي اليها الحواس لتخزنه وقد تخزن القوة المصورة ايضاً اشياء ليست من المأخوذات عن الحس . فإن القوة المفكرة قد تتصرف ..... بالتركيب والتحليل ..... ، وابن رشد : س ٣٠٦٨ ، حيدراباد س ٧٠٦٢ .

(٢) قارن أرسطو : De Somniis, 2. 459 a 23 sq. .

(٣) المخطوطة : يدرك ما لا على .

(٤) المخطوطة : لسا .

(٥) المخطوطة : يوجد .

شيء من الكلي ، بل توجد لها(١) أحوال يكون بها بعضها أقرب إليه من بعض . وتلك الأحوال في الخيالات أكثر وأحرى بها(٢) ، وأظهر منها(٣) في الإحساسات . فإن الشخص ليس بمضاد للكلي (ورقة ١٦٤ الف) بل هو غيره بوجه ما ، وقد لخص أمره(٤) أرسطو فيما بعد الطبيعة(٥) .

وأما وجود الكلي فهو ضرورة عن أسباب أخر ، ولا يخلو < من > أن يكون الكلي كاينًا أو غير كاين . فإن كان كاينًا فهناك هيولى أو قوة تجري مجرى الهيولى ، وإن كان غير كائن حتى يكون التعلم تذكرًا فقد يلزم إما أن يكون الصور على ما يراه فلاطن وهي التي نصّها سقراط في كتاب فاذن(٦) ، فيكون للعقل حسًا أو مجانسًا له ، وإما للعقل قبل أن يعقل فيكون التعلّم تذكّرا .

وإذا نظر في الكلي ، وجدت له أحوال يلزم عنها أن يكون أزليـا ، وأحوال يلزم عنها ضرورة أن يكون متكونا . وبالجملة فإن اللواحق الموجودة له توجد فيه على حال مقابلة لوجودها في الصور الهيولانية . وكيف كان وجودها في الصور الهيولانية ، وكيف كان ، فإن وجودها مباين للوجود الهيولاني مباينة ظاهرة جدا . وأحراها أن تكون موجودة بنحو آخر من الوجود حتى يقال عليها وعلى الهيولانية الموجودة باشتراك ، وأخلق أن يكون الموجود يقال عليها بتقديم ، وإن كان أحرى بالوجود .

---

(١) المخطوطة : لما .

(٢) قارن أرسطو : De An. iii. 8. 432 a 3 — 10 .

(٣) المخطوطة : عنها ، وبالهامش : منها .

(٤) المخطوطة : امرها .

(٥) قارن أرسطو : Met. Z. VII. 1035 b 29 .

(٦) Arist. Met. A. 1. 991 b 3 .

الفصل الحادي عشر

القول في القوة الناطقة

وقد يجب أن نفحص عن القوة الناطقة ، وأي قوة هي ؟ وما هي ؟ وهل هي نفس ؟ أو قوة لنفس ؟ فإن كانت قوة لنفس على ما يظن فعلى أي جهة تنسب انها للنفس . ويجب أن نفحص عن هذه القوة هل هي دائماً فعل (١) أو هي تارة قوة وتارة فعل . فإن كان ذلك فلها هيولى ، وإن كان لها هيولى فلها محرك إذ كل متحرك فله محرك . فما هذا المحرك (٢) ؟ وأي وجود وجوده ؟ ويطابق بذلك كله المتعارف من أمرها وما يشاهد بالحس من أحوال الجسم الطبيعي التي هي له . فإن ذلك مما يفيد الناظر أشياء مما (٣) تقال فيسدده ذلك ذلك الوقوف بنفسه على النفس في ذلك كله .

وأما أنها ليست دائمة بالفعل ، وذلك بين فإنه لو كان كذلك لكان التعلم تذكرا (٤) ، ولكان التعلم غير مفتقر إلى الحس (٥) . ولكان إذا نقصنا حاسة من الحواس لم ينقصنا علم من العلوم والأمر بخلاف ذلك (٦) . وإذن فلكان سينفع لها العلم بوجود أشياء تسند الى المحسوس من غير أن يحسها حتى يكون

---

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهوانى ص ١٨٠٨١ .

(٢) أيضاً ص ١٦٠٦٦ .

(٣) المخطوطة : بما .

(٤) ايضاً ص ٢٠٨٠ .

(٥) قارن ارسطو : De An. iii. 8. 432 a 6 ، « فلا يمكن لأحد أن يتعلم عند عدم الحاسة » .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ٩٠٧٩ .

من لم يحس الثقل يقع له اليقين بأنه بجميع الصفات التي من شأن مَن أحسّه أن يقع له اليقين بها ، وهذا فبيّن والتطويل فيه فضل ، وقد تلخص ذلك في مواضع كثيرة .

وأما أنها دائماً بالقوة فذلك أيضاً محال لأنه(١) يحدث للانسان علوم إما بالحس كما يوجد ذلك لأهل الصنائع العملية وإما بالتعلم .

<فبيّن> (ورقة ١٦٤ ب) أنها تارة بالقوة وتارة بالفعل والخروج من القوة إلى الفعل تغير ، فهناك مغير لأن كل متحرك فله محرك ، وقد لخصنا هذا فيما تقدم .

والقوة الناطقة هي التي بها يدرك الإنسان آخر مثله على ما يحس في نفسه(٢) . وهي(٣) بالجملة إخبار أو سؤال أو أمر ، والسؤال فهو اقتضاء اخبار ، والاخبار تعليم ، والسؤال تعلّم . وهذه القوة هي التي بها يعلم الإنسان أو يتعلم . وهذه الأقسام الثلاثة إنما تكون إذا كان الإنسان على المجرى الطبيعي . فالنطق بألفاظ يخطر بالوضع تلك المعاني التي تهجس في نفس الناطق بها . والنطق في لسان العرب يدل عندهم أولاً على التصويت بألفاظ دالة على معان . ثم يستعمل على التصويت بالألفاظ وهذه غير دالة ولذلك قال الشاعر :

---

(١) المخطوطة : لا يحدث .

(٢) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : القوة المتخيلة الموجودة في الانسان بالفعل هي القوة التي يجدها الإنسان في نفسه يرسم فيها رسوم المحسوسات ويتصور بها ويحضر للانسان فيها رسوم من المحسوسات متخيلة بعد غيبتها عن الحواس فيرى الإنسان فيها صفة زيد وعمرو وصفة داره وذاته وغير ذلك من المحسوسات المشار اليها .

(٣) المخطوطة : وهو .

« لم يمنع(١) الشرب منها غير أن نطقت   حمامة في غصون ذات أوقال(٢) »(٣)

وقد يستعملون النطق على غير ذلك وقد أحصى ذلك أهل اللغة في لسانهم .

ولما كان ذلك انها(٤) تكون لهذه القوة آلة تقدمنا ورسمنا لها ، كان فعلها أولى بالنطق ، فنقل إليها المتفلسفون هذا الاسم ، ورسمنا القوة التي فيها القول . ونريد أن نلخص ما هي وعمَّا هي ؟ فإن فحص المتقدمين إنما كان عن هذه وهل هي مائية(٥) أو غير مائية وليس يعسر على من أراد إحصاء الآراء التي رآها من تقدم . فان جلها مشهورة ولذلك نسقط فيما نحن بسبيله إحصاءها والتفحص(٦) عنها ونقتصر على ما يُوجبه ما يعلم الانسان من أمرها بالطبع . فإن الآراء التي قيلت فيها ليست من هذا النحو بل إنما هي ظنون [أكثر منها عند من قال بها إمّا بعض هذه ، واما آراء مشهورة] ، فالفحص عن تلك الآراء إمّا أن يوقف من أمرها على حال ما أو يقف بالإنسان على موضع غلط القايل بها . وذلك نحو من أنحاء الرياضة الجدلية .

(١) المخطوطة : لم يطرب .
(٢) المخطوطة : أوراق .
(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي قيس بن الأسلت وقبله :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا   فيها فصرت الى وجناء شملال
تعطيك مشياً وارقالاً ودأدأة   اذا تسربلت الآكام بالآل
تردى الإكام اذا صرّت جنادبها   منها بصلب وقاح البطن اعمال

راجع الكتاب لسيبويه (هارتويغ ديربابورج ، بيرس) ج ١ ، ص ٣٢٢ ، لسان العرب لابن منظور (« النطق » حرف القاف ، ص ٢٣١) ، الخزانة البغدادي ج ٢ ص ٤٥ ، ج ٣ ص ١٤٤ .
(٤) المخطوطة : انما .
(٥) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٦٦ : « وانها انما تتعطل افعالها في الصبا لأنها مغمورة بالرطوبة » ، وابن باجة : رسالة الاتصال (المصدر نفسه) ، الاهواني ص ١٠٧ : « وهل هي موجودة في الطفل وغيرتها الرطوبة أو تحدث بآخرة » .
(٦) المخطوطة : الفحص .

فنقول : إن من الأمور الظاهرة بأنفسها ان الإخبار والاستقالة إنما يكونان بقول جازم[١] وقد تلخص في بارميناس ما الأمر الجازم ، وانه مركب من محمول وموضوع . فبالضرورة يوجد في الإنسان فعلان : أحدهما وجود المعاني المفردة[٢] والثاني تأليف هذين المعنيين . فالقوة التي يكون بها هذا التأليف هي القوة المفكرة وفعلها أنواع تأليف المعاني المفردة[٣] ، وقد أحصيت في كتب المنطق والثاني القوة التي بها تحصل المعاني المفردة وهذه[٤] كالهيولى (ورقة ١٦٥ الف) لتلك[٥] فانه متى لم توجد المعاني المفردة لم يمكن أن يكون تركيب ، فهذه متقدمة لتلك بالطبع .

والمعاني المدلول عليها بالألفاظ على ما عدد في مواضع كثيرة ضربان[٦] : كليات وأشخاص . فالقوة التي بها تدرك الأشخاص هي القوة المتخيلة على ما تبين

---

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٩٩ الف ص ١٠ : والقول التام اجناسه عند كثير من القدماء خمسة : جازم وتضرع ، وطلبة ونداء . لأنه قد يمكن ان يوجد بطريق آخر فيكون أكثر ، والتمني وما يجري مجراه جار مجرى الجازم لأنه لم يتغير فيه الجازم بل يقر على حاله زيادة .

(٢) المخطوطة : المفكرة .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : وكذلك وجود القوة الناطقة يجدها الانسان في نفسه ويعلمها علماً يقيناً لا يشك فيه بشيء من التثبت وذلك انا نجد في أنفسنا ما يتميز به وينفصل عن ساير الحيوان المتغذي الحساس : فان الانسان يجد في نفسه معلومات يحتوي على ميز الجميل والقبيح والنافع والضار . . . ويميزها . ويجد في نفسه أموراً يرى صدقها لا يشك فيه وأموراً على ما هي ظن ، وأموراً هي كذب لا يجوز في الوجود ، كل هذه المعلومات يجدها الإنسان في نفسه . وهذه المعاني المعلومة في النفس تسمى نطقاً ، وما يوجد في الإنسان يسمي ناطقاً .

(٤) وفي المخطوطة زيادة : لم يمكن أن يكون تركيب .

(٥) المخطوطة : لذلك .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ١٠٠٦٧ ، حيدراباد ص ١٣٠٦٢

قبل هذا . وأما الكليات فهي (١) لقوة أخرى (٢) وبين أنها ليست للحس . وان الحس لا يدرك < إلا > الأشخاص . والكليات معان أخر . لأن الكلي معنى واحد من ساير < ما يقال > ان يوجد لكثيرين وليس لشخصين كذلك . ولأن كل قضية ، لما أن تكون مؤلفة من شخصين ، فهي قليلة الاستعمال . وسنقول فيما بعد . وأما التي من شخص وكلي فهي (٣) توجد كثيراً في الكهن (٤) وفي الخطابة والشعر . وأما التي من كليتين فهي تعم جميع الصنائع وهي التي تسمى علوما على الاطلاق وعلى التقديم ، فإذن ما له مثل هذا المبدأ يكون ناطقاً و < لو > بالقوة ، وعلى هذه يقال للانسان .

وهذه الكليات هي معان معقولة . وانما تصير كليات (٥) باضافتها الى الأشخاص الموضوعة لها وكذلك معنى الشمس والقمر . وبالجملة فماله شخص واحد هي معان معقولة وليست بكليات الا على طريق التشبيه ويقال لهذا كليات بالتأخير .

وهذه المعقولات إمّا أن تكون أزلية أو حادثة .

إلى هنا انتهى الموجود من قوله رحمه الله < تعالى > .

***

---

(١) المخطوطة : فهو .

(٢) ابن رشد ، ص ١٠٦٨ ، حيدواباد ص ١٥٠٦٣ .

(٣) المخطوطة : فهو .

(٤) أيضاً : في لكن .

(٥) ابن رشد ، ص ١٩٠٨٠ ، حيدراباد ص ٦٠٧٧ .

المصـــادر

ابو ريدة ، مصطفى عبد الهادي : رسائل الكندي

اهل ورت Verzeichniss Der Arabischen Handschriften:(Ahlwardt, W.) Der Konglichen Bibliothek Zu Berlin, vierter Band VII und VIII Buch, Berlin, 1892.

الأهواني ، أحمد محمود : تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد ابن رشد ، وأربع رسائل ، ١٩٥٠ :

(١) رسالة الاتصال لابن الصائغ ، (٢) كتاب النفس لاسحق بن حنين

(٣) رسالة الاتصال لابن رشد ، (٤) رسالة العقل ليعقوب الكندي

الأندلس ، Granad - Madrid : انظر « أسين بلاسيوز »

ارسطاطاليس : ترجمة كتبه بالانكليزية ، نشر و ، د ، راس (W. D. Ross)

رسالة ارسطاطاليس في النفس : نشر الدكتور صغير حسن المعصومي ، في مجوعة ارمغان علمى ، لاهور

رسالة درنفس منسوب بارسطاطاليس : مخطوطة بودليانا ، رقم Ousl. 92

آسين بلاسيوز (1) Tratado de Avempace Sobre la : (M. Asin Palacios) union del intelecto con el hombre. Al Andalus vol. 7. 1942, 1 — 47.

رسالة اتصال العقل بالانسان لابن باجه .

(2) La « Carla de Adios » de Avempace, Al Andalus, vol. 8. 1943, 1 — 87.

رسالة الوداع لابن باجه .

كتاب النبات ، الاندلس ج ٥ ، ١٩٤٠

(3) Al-Andalus, vol. 5. 1940, 266 — 278

تدبير المتوحد لابن باجه ،

كتاب الحدائق لابن سيد البطليوسي الأندلسي ،

Al-Andalus, vol. 5. 1940, 63 — 98

انسائيكلوپديا اف اسلام (دائرة المعارف الاسلامية) :

The Encyclopaedia of Islam,
ed. Houtsma, Arnold et others Leyden, 1913, 4
voll. q Suppl.

ابن باجه : مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 206 ، وانظر « آسين بلاسيوز »

ابن خلدون : التاريخ ، ج ١ بولاق .

ابن خلكان : وفيات الأعيان .

ابن النديم : كتاب الفهرست ، نشر فلوجل (Flügel) ، ليپسك ، ١٨٧١ م .

ابن القفطي : تاريخ الحكماء، نشر ج. ليپرت (J. Lippert) ، ليپسك، ١٩٠٣م.

ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر الأهواني .

رسائل ابن رشد ، حيدراباد ، ١٩٤٦ م .

تفسير ما بعد الطبيعة ، نشر بوئيج (Bouyges) ، ٣ أجزاء .

كتاب الكليـــات ،

Artes Graficas Bosca, Larache, Marruecos, 1939

ابن السيد البطليوسي : كتاب الحدائق ، انظر « آسين بلاسيوز »

ابن سينا : كتاب الشفاء ، مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 125 .

تعليقات كتاب النفس، نشر عبد الرحمن بدوي، ارسطو عند العرب .

ابن طفيل : حي" ابن يقظان ، نشر جوتيه (Gauthier) .

ترجمته بالانكليزية من قلم سائمن اوكلى (Simon Ockley) ،

نشر Edward A. Van Dyck ، قاهرة ، ١٩٠٥ م .

اوكلي (Ockley) : Philosophus Autodidactus أو حي بن يقظان ،
انظر « ابن طفيل » .

بدوي ، عبد الرحمن : ارسطو عند العرب .

برجستراسر (Bergstrasser) : Geleni in Hippocratis De Septimanis

بوئيج (Bouyges) : انظر « ابن رشد » و « الفارابي » .

براكلمن (Bockelmann, C.) : (جزءان) Geschichte der Arabischen Literatur

(ثلثة أجزاء) Supplementland

بركك (Pocock, E.) : Philosophus Antodidactus, Elenchos Scriptorum

جالينوس (Galen) : انظـــر « برجستراسر » و « كراوس ـ والسر »

جوتيه (Gauthier, L.) : Roman philosophique d'Ibn Tufayl. taxt et traduction, Beyrouth, 1936.

جواشون (Goichon, A. M.) : Lexique de la langue philosophique d'Ibn Sina, Paris, 1938.

Vocabulaires compares d'Aristote et d'Ibn Sina,

Supplement au Lexique de la langue philosophique.

جورت (Gowett, B.) : محاورات أفلاطـــون ، خمسة أجزاء

Dialogues of Plato, English, 5 vols.

ج ر ا س (J R A S) : Gournal of the Royal Asiatic Society, London

ديتريصي (Dieterici, F.) : Al-Farabi's philosophiche Abhandlungen, Leiden 1890.

دنلوب (Dunlops, D. M.) : تدبير المتوحد لابن باجه : GRAS, 1945, 61—81

راس (Ross W.) : انظر « ارسطاطاليس » .

رائيث (Wright) : Arabic Grammar (Engl.) 2 vols

زيلر (Zeller, E.) : Aristotle and Early Peripaletics Englishs by Contelloc and Muirhead, 2 vols.

سارطن (Sarton, G.) : Introduction to the History of Science, 2 vols in 3 parts, Baltimore, 1927 — 31.

سبرينكر (Sprenger) انظر « علي التهانوي » .

علي التهانوي : كشّاف اصطلاحات الفنون ، نشر سبرينكر ، كلكتة .

فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ، اكسفورد .

فضل امام خيرابادي : الهدية السعيدية ، الهند .

الفارابي، ابونصر محمد بن طرخان: فصول المدني، مخطوطة بودليانا، رقم Hunt 307.

فصوص الحكم ، نشر ديتريصي .

احصاء العلوم ، ميدرد ، ١٩٣٢ م .

مسائل متفرقة ، حيدراباد .

المدينة الفاضلة ، نشر ديتريصي .

السياسة المدنية ، حيدراباد .

فلوجل (Flügel, G.) : انظر « ابن النديم » .

الكندي : انظر « ابوريده » .

كراوْس (Kraus — Walzer) : Galenic Compendium Tinaci Platonis London, 1951.

لين (Lane, E) : Arabic - English Lexicon

مكنّا (Makkenna) : ترجمة نواميس . Plotinus, Enneads, 4 vols.

المقّري ، أحمد : نفح الطيب ، أربعة أجزاء .

مولر (Muller, A) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، كونكسبوك وقاهرة .

والسر (Walzer) : انظر « كراوْس » .

الفهرس

KITAB AL-NAFS

BY

ABU BAKR MUḤAMMAD b. BĀĞAT AL-ANDALUSI

EDITED BY

MUḤAMMAD AL-MA'ṢŪMĪ

DAR SADER *PUBLISHERS*
P.O.Box 10
BEIRUT

KITAB AL-NAFS

BY

ABU BAKR MUḤAMMAD b. BĀǦAT AL-ANDALUSI

EDITED BY

MUḤAMMAD AL-MAʿṢŪMĪ

Dar SADER, Publishers
P. O. B. 10
BEIRUT - Lebanon